

جائزة الألوكة

مسابقة انصر نبيك .. وكن داعيا

مجموعة القصص الفائزة



- الإفك .. المحنة البليغة
- هل أسلم القيصر ؟
- أنا وفيليب ومحمد
- المفتاح





جائزة الألوكة

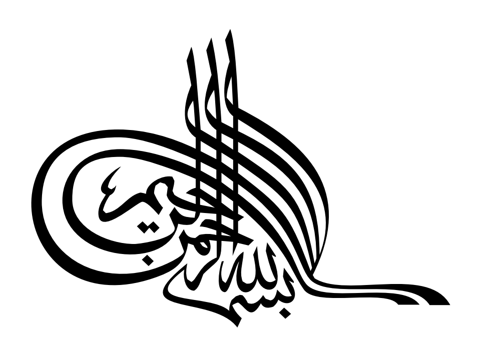
مسابقة انصر نبيك .. وكن داعيا

مجموعة القصص الفائزة

- الإفك .. المحنة البليغة
- هل أسلم القيصر ؟
- أنا وفيليب ومحمد
- المفتاح




الجديد و الحصري
NEW & EXCLUSIVE


بسم الله الرحمن الرحيم


الجديد
و
الطريف
NEW & EXCLUSIVE

تقديم

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ملء السماوات وملء الأرض وملء مابينهما، والصلاة والسلام على إمام الحقِّ والهدى، سيِّدنا محمد معلِّم الناس الخير، وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه واهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن **موقع الألوكة** أخذ على عاتقه منذ تأسيسه أن يكون رسالةَ حقٍّ سامية إلى أبناء الإسلام في كلِّ مكان، يقدِّم لهم العلمَ النافع، والنصحَ الصادق، ويشيد لهم الصُّوى والعلامات الهاديةَ إلى صراط ربهم القويم.

وكان من سوالف الأقضية -في مرحلة إنشاء الموقع وإعداده- أن ينشرَ رسامٌ دانماركيٌّ رسومًا (كاريكاتورية) ساخرة من نبيِّ الهدى عليه أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم! ونتج عن هذا الفعل الأحمق ردودُ أفعال كثيرة ومتباينة من أبناء الإسلام في أقطار الأرض كافَّة، استنكارًا ورفضًا لهذه الإساءة القبيحة.. ورأينا أن خير ردٍّ على هذه الإساءة هو استثمارُ عواطف المسلمين الصادقة في بيان شمائل نبيِّهم ﷺ وخصاله الكريمة ورحمته الفريدة.. وتقديمُ صورة صحيحة عنها إلى الغرب، إذ لربما لو عرف هذا الرسامُ وغيره من الغربيِّين الشانئين والحاقدين على الإسلام ونبيِّه، لو عرفوا

السيرةَ الصحيحة لنبيِّ المسلمين وحقيقةَ دعوته لوقفوا منه موقفَ التقدير والتبجيل على غِرار مواقف كثيرينَ من أبناء جلدتهم المنصفين.

وقد رأينا اهتبالَ هذه الفرصة لحثِّ الكتَّاب والأدباء والمفكرين على تسخير مَلَكاتهم ومواهبهم في نصرة نبيِّهم ﷺ والذبِّ عن عرضه الشريف بكتابة بحوث ومقالات وقصص.. فكانت مسابقة الموقع الأولى بعنوان: (**انصر نبيَّك وكن داعيًا**)، ولقيت بتوفيق الله اهتمامًا كبيرًا من الإخوة والأخوات، فاق توقعاتنا، وأثمرت مشاركات متميِّزة مفيدة، ولله الحمد والمنَّة. وكان إعلان نتائج المسابقة في غُرَّة شعبان سنة ١٤٢٧هـ.

وتعميمًا للفائدة، ونشرًا للعلم النافع، ننشُر هذه القصصَ والمشاركات الفائزة، راجين أن يكتب الله لها القَبول بفضله وأن ينفعَ بها المسلمين وغير المسلمين في كلِّ مكان.. والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

المشرفان

د. سعد بن عبدالله الحميِّد   **د. خالد بن عبدالرحمن الجُرَيسي**





جائزة الألوكة

مسابقة: «انصُر نبيَّك وكُن داعيًا»

الإفك المحنة البليغة

المشاركة الفائزة بالجائزة الأولى بفرع القصة

بقلم

أحمدي قاسم محمد




شبكة
الألوكة
www.alukah.net


الجديد
و
الحصري
NEW & EXCLUSIVE

المحنة البليغة

كانت عائشة زوج النبي محمد ﷺ معه في إحدى الغزوات، غادرت هودجها لقضاء حاجتها الخاصة، وأخَّرها فقدان عقدها الذي انسل من صدرها، تحرك الجيش ولم يشعر بغيابها، خُيِّل إليهم أنها قابعة في هودجها، استقرت عائشة في مكان الجيش الراحل على أمل عودتهم للبحث عنها، مرَّ بها رجل كان مؤخرة للجيش فاحتملها على بعيره وسار بها حتى لحقا بالجيش في وَضَح النهار، وجد المنافقون في الحدث فرصة للطعن بالرسول ﷺ والنيل منه، فاتهموا عائشة في عِفَّتها، وسقط في الإفك بعض المسلمين.

درسٌ قاسٍ للجميع، ربى الله تعالى به الجماعةَ المسلمة، وشرع به أحكاماً لضبط المجتمع المسلم .





(١)

الحبُّ في بيت النبوَّة

كانت عائشة البكرَ الوحيدة بين نساء رسول الله ﷺ، تزوجها صغيرة السن، تفجرت عواطفها عليه، وتفتحت حواسها بين يديه، فتشبَّع كيانها بحبه، وارتوت خلاياها منه، وتمتعت روحاً وجسداً بمعاني المودة والرحمة.

لقد أساءت الحضارة المادية الحديثة لمعنى الحب، فرَّغته من روعته الإنسانية، وقَصَرته على علاقة جسدية حسية، لكن الحب الذي أراده الله متعة لعباده مسطور في منهجه، متحقق في بيت النبوة، ليقتدي الناس به، وكما يتعلمون الصلاة والزكاة وسائر العبادات، عليهم أن يتعلموا الحب من رسول الله ﷺ.

هي الآن في الخامسةَ عشرةَ من عمرها، وهو ما يعني في الجو الصحراوي الحار امرأةً كاملة النضج، ويعني أيضاً أنها سعدت مع النبيِّ محمد ﷺ ست سنوات خلت هي عمر زواجهما. فقد تزوجها رسول الله ﷺ في السنة الأولى من هجرته إلى المدينة، وهي الآن في السنة السادسة الهجرية.

وعائشة أسعد الزوجات على الإطلاق، فالمرأة تحبُّ من يحسن معاشرتها، ويحترم إنسانيتها، ويبذل لها الحب الخالص في كلمة طيبة، ولمسة رقيقة، وحُنوٍّ دافئ، وعطاء متجدد تجدُّدَ دقائق الزمن.

وتنبع سعادة عائشة من فيض النبوة الغامر، فزوجها الإنسان الكامل الذي رباه الله تعالى وزكاه ونصبه على قمة الدرج الإنساني الراقي ليكون قدوة للمؤمنين.

لهذا كانت نفسها تتوق في كل مرة يغزو فيها رسول الله ﷺ أن تخرج عليها القرعة لتصحبه فيها، فحياته دعوةٌ وغزو متواصل، لا يلبث أن يرجعَ حتى يعود، وكان يُقْرِع بين نسائه لترافقه إحداهن في رحلته الجهادية.

في هذه الغزوة خاصة كانت عائشة تجد في نفسها اطمئناناً لفوزها برفقته ﷺ، وكانت فرحتها عظيمة عندما أهدت إليها القرعة الطيبة قَدَرَ صحبة الرسول هذه المرة.

إنها تعلم أن الجهاد ليس رحلةً ترفيهية... خرجت مع الرجال المجاهدين يوم أُحُد، كانت تحمل قِرَبَ الماء على ظهرها مع أخواتها المسلمات وتمر بالجرحىٰ لسقايتهم والمساعدة في علاجهم.

ورسول الله ﷺ ليس متفرغاً لها، فالجيش يقطع نهاره سيراً إلى هدفه المنشود، أما الليل فينتصب فيه رسول الله ﷺ مصلياً وخاشعاً.

يكفيها أنها قريبة منه، وأنه أمام عينيها طَوال الوقت، ترقبه من هودجها عند المسير، وتأنس بجواره ليلاً، وأنه لها وحدَها من دون نسائه.

❁❁❁❁❁

(٢)

القَدَر والعِقْد

مرت سريعاً أيام تلك الغزوة على عكس ما كانت ترجو عائشة، هذه سمةُ الأيام السعيدة، الأسطح الناعمة تدفع للانزلاق، فهي في سبيل الله، وبرفقتها رسول الله ﷺ، السعادة مكتملة إذاً.

قارب الجيشُ على الاقتراب من المدينة، ولعل هذا ما دفع الرسول ﷺ أن يأمر الناس بالتحرك ليلاً على غير عادته... فاجأها أمر الرحيل، لذا قررت أن تتدبَّر أمرها سريعاً، وتتجهز قبل الرحيل، غادرتْ هودجها وانطلقتْ بعيداً عن الجيش لتقضيَ حاجتها ثم تعود مسرعة لتكون مع القوم.

لاشك أنها كانت مشتاقة لرؤية أبيها، كلُّ الناس يحبون آباءهم، لكن إذا كان الأب صدِّيقاً فالحب حتماً سيكون مضاعفاً.

ولاشك أنها كانت مشتاقة لأختها الحبيبة أسماء. وافتقدت خلال رحلتها أخواتها اللاتي يشاركنها في زوجها رسول الله ﷺ، هن ضرائر، لكنهن صديقات حميمات وبخاصة زينب بنت جحش.

وكانت تجد في نفسها حنيناً جارفاً للمدينة، لها في قلبها مكانة خاصة، اقتربت من الرسول ﷺ فيها، تعرفته كما لم يتعرفه أحدٌ من المسلمين، وشهدت أدقَّ تفاصيل حياته.

إذا كانت النفوس المؤمنة تحبه وتشتاق لرؤيته، وقد تبكي رغبة في النظر إلى وجهه الكريم حتى ولو مناماً، فإن عائشة كانت أحبَّ الخلق إليه.

في طريق عودتها إلى معسكر الجيش خطر بمخيلتها والدتها أم رومان وهي تستقبلها فرحة بالقدوم، تحتضنها وتأخذ كفَّيها بحنان الأمومة الدافئ، وتمسح كتفيها وذراعيها، وتأمر عينيها بمراجعة تفاصيل الجسد النحيل.

ذات المشهد الرائع ليلة أن زينوها وحملوها إلى رسول الله ﷺ وطوَّقتها أم رومان بعِقْدها الذي كانت تلبَسُه أول مرَّة، رأت الرضا والإعجاب في عيني أسماء بنت يزيد ليلة جمَّلتها لرسول الله ﷺ، وهي تنظر إلى جيدها المحلى بحبات العقيق الوردية ذات الخطوط المتوازية في دوائر بديعة، وألوانه المتدرجة التي تتألق حين يكون في ضوء الشمس وتسكب انعكاساتها المبتهجة طوقاً نورانياً حول العنق النحيل.

تحركت أصابعُها نحو جيدها وكأنها تشكر بامتنانٍ عِقْدها، مفردة من مفردات تجمُّلها لرسول الله ﷺ، لكن أصابعها تراجعت منتفضة، العِقْد ليس في جيدها، تحسست بكفها.. أعادت ثانية، أرسلت عينيها لعلها تلتقط شعاعاً من حباته الملساء اللامعة.

سقط العِقْد من الجيد، لم تكتشف غيابه إلا الآن، لابد



أنها أضاعته في مكانها الأخير، عادت مسرعةً إليه، انطلقت بعفوية لتبحثَ عنه، عليها أن تسرع لأنه سيغوص حتماً في الرمال، حركة الرياح الدائمة تقهر في طريقها حبات الرمل.





(٣)

أُنْسٌ بالله لا وَحشَة

كانت فرحتها غامرةً عندما رجعت إلى مكانها الذي كانت فيه، فوجدت حبات عقدها مازالت قابعة بانتظارها، جلست إليها، التقطتها بأصابع أمٍّ حانية، أودعتها كف يدها الأخرىٰ، نظرت إليها عاتبة، أحست بالحبات تعتذر، إنه قدر الله، الآن هي فَرِحَةٌ بعودتها إلىٰ عائشة.

عندما عادت مسرعة إلى المعسكر، انطفأت فرحتها فجأة. . . رحل الجيش! لا أثر لخيامه، لم تر إلا آثاراً لنار القوم التي كانت مشتعلة منذ قليل، أرسلت عينيها أملاً في إدراك اتجاه السير، ستائر الليل المظلمة سارعت بتغطية البساط الصحراويِّ الأصفر، في ليل الصحراء تتساوى الاتجاهاتُ الأربعة، لا يَفْطِنُها ويتبيَّنُها إلا خبير.

أدركت عائشة أن الرجال حملوا هودجها وثبَّتوه مكانه فوق ظهر ناقتها، لم يشكُّوا أنها داخل الهودج، فهي مازالت فتاةً صغيرة خفيفة الوزن.

عندما تقتصر الخيارات علىٰ واحد يصبح القَبول به حكمة.

إذا افتقدوها في أول استراحة سيعودون للبحث عنها، لذا عليها أن تبقى، رحيلها في الظلام ضياعٌ في تيه الصحراء، وبقاؤها وحيدةً واقع موحش لابد منه. . . كآبة ليل الصحراء مفزعة.



إنه العقد الذي أخَّرها! العقدُ مجرد سبب، إنها إرادة الله، فهي زوجة نبيِّه المحبوبة، وابنة الصدِّيق، ولن يضيعها الله.

عندما حل بقلبها هذا الخاطر هدأت نفسها، غمرها إحساسٌ بالأمان، سكنت بلابلها، اطمأن القلب بعد الرجفة التي فاجأته، اتكأت على كومة رملية ناعمة، وتخيلت أنها على صدر رسول الله ونامت.





(٤)

فَرَجٌ أم بوادرُ مِحنَة؟!

- إنا لِلَّه وإنا إليه راجعون. ظعينة رسول الله؟!

جاءها الصوت هادئاً فانتبهت. . . عندما فتحت عينيها كانت غِلالات النور الطيبة تطارد ما تبقَّى من كتل ظلام الليل الباهتة. نظرت وراءها، رأته، وجهٌ مألوف، إنه رجل صالح، صفوان بن المُعَطَّل، يجلس علىٰ ناقته آسفاً، اعتدلت في جلستها ولم تتكلم.

غالب الرجلُ حياءه وأناخ راحلته، وتراجع إلى الوراء، ابتعد عن الراحلة.

قامت عائشة واعتلت الراحلةَ، جلست واطمأنت في جلستها.

عندما تيقَّن صفوان من استقرار عائشة وتهيُّئها للرحيل تقدم وأمسك بخِطام الناقة وانطلق بها في صمت.

لم يكن صفوان يعلم أن تخلُّفَه وراء الجيش لتأمين حركته والتقاط ما يخلفه وراءه، حَلْقَة من حَلَقات القدر ليتحقق مراد الله.

غالباً ما يلتقط مؤخرةُ الجيش وتداً، أو كوزَ شراب أو صحفة، أو شاة شردت من راعيها..



من فوق الناقة راحت عائشة تنظر في الأفق القادم، تبحث عن بقعة مظلَّلة فوق بساط الصحراء الأصفر، تتعجل أقدام الناقة حتى ترجع إلى زوجها ودِفْء قلبها رسول الله ﷺ.





(٥)

الإفكُ في المَدينة الآمنَة

كان الصمت هو الرفيقَ الحقيقي لرحلة عائشة، الصحراء تتمدد باسترخاء، ممتنة للشمس التي ترسل ضفائرها الذهبية، وتبثُّ دفئها في أعماق رمالها التي عانت قسوةَ الليل البارد.

الناقة الطيبة تختلس النظر إلى عائشة على استحياء، منتشيةً باللحظة التاريخية السعيدة التي منحتها حمل عائشة زوج رسول الله ﷺ.

أما صفوان فهو يتنكَّب حبلها المتدلي على كتفه. في اتجاه واحد حيث يعسكر الجيش.

أدرك الركْبُ الصغير الجيشَ عند الظهيرة، تبسمت عائشة لرؤية رسول الله ﷺ، سرت في روحها انتعاشةٌ بفرحة اللقاء.

اطمأنت الناقة في بروكها لتنزلَ عائشة في أمان، دلفت إلى هودجها واسترخت فيه.

كان لمشهد العودة إلى الجيش رؤيةٌ أخرى، العين ترى ولا تفسر، لكن الصورة عندما تقع في القلب تتطابق على ما فيه.

قرأت القلوب المريضة المشهد بعينَي شيطان، الموكب الصغير مادة ثرية للَّغْو، مساحة شاسعة يمرح فيها الشيطان، طعنةٌ مؤثرة في قلب محمد.

هذه زوجه الصغيرة المحببة إليه عائشة، وابنة أحب أصحابه وأقربهم إلى قلبه، تتخلَّف مع أحد الرجال، رآها الجميع تركب ناقته وهو ممسك بقيادها.

ستحفر الواقعة حفرة كبيرة بمساحة يثرب، وسيتساقطون فيها واحداً وراء الآخر، وغداً يا يثربُ تبدأ معركة في جسدك، تنفجر فيك خلايا سرطان الإفك المجنونة!





(٦)

رأسُ الأفعى وسُمومُها

وجد عبدالله بن أُبيٍّ بن سَلول أن ترويج الإفك فتح ثَقْباً كبيراً في جدار صدره الصخري، لتتفجَّر منه حممه المكبوتة، كلمات الإفك نفثٌ ناري سيدمر الدولة التي صنعها محمد.. المملكة التي شيدها على أشلاء أحلامه.

كانت يثرب تنسج له ثوب ملكه، وترصِّع له تاجه ليكونَ حاكمها الذي تأتلف تحت إمرته، وبدأت خطواته ترقى درج عرشه.. حتى ظهر محمد، فتراجعت يثرب عنه وبايعت محمداً.

إذا كانت صفوةُ قريش فقدت مكانتها ببزوغ نجم محمد فإن ابن سَلول فقد ملكاً أشرف على اعتلائه.

الانتقام يجب أن يكون على قَدْر الخسارة، إنها قاعدة إبليس التي طلب بموجبها الإمهال ليوم القيامة.

لهذا ركب ابن سَلول شيطانَ الإفك على عائشة، خلخلة الصف المسلم تعني حرمانه من أهمِّ ركائز قوته. من يدري؟

قد يغضب محمد غضبة تُسقطه فيما ينهى عنه، فتُخدَش نبوته، وتَسقط عصمته، ويُفتَح باب التشكيك في دعوته، والجرأة على شخصيته، فيتفرق عنه ما اجتمع، وتنحل عُرى جماعته عروة عروة.

غضبة تفقده رصانته، ما قيل عن عائشة كفيل بتفجير النفوس الحكيمة، كلماتٌ تصيب بالعمى، وتسل الروح من الجسد، وتفقد النفوس الرغبة في الحياة.

ما يَغيظ ابن أبيٍّ حقاً هو موقف محمد، الطعنة في شرفه، في أحب الناس جميعاً إليه، احتمالها يفوق طاقة البشر.

فهو لم يطلِّق عائشة، ولم يقتل صفوان، ولم يقف مغتاظاً صارخاً يتوعد من يقذفون زوجته الأثيرة عائشة!

أي رجل أنت يا محمد؟!





(٧)

بين ضَعْفَين

لما رجع الجيش إلى يثربَ اشتكت عائشة، أضعفها المرض فسكنت الفراش، في لحظات ضعفها الجسديِّ كانت تستمتع بفيض الحب الغامر من رسول الله ﷺ، يتضاعف حنانه، يقدِّم حبه في كلمات لطيفة، ولمحات رقيقة كأنه يعوِّضها عن وَهَن الجسد.

ذات ليلة نظر إليها بعينين دافئتين وبسمة رائقة بديعة وقال:

- أستأذنك أن أخلوَ بربي.

غمرت نفسها دهشةٌ ارتجَّ منها الجسد، وتخللتها نشوة دغدغت أعصابها، رسول الله يستأذنها، قالت في نفسها:

- من أنا حتى يستأذنني رسول الله؟!

هنالك أحسَّت بمكانتها في قلبه، وأغرتها هذه المكانة بالحرص على إظهارها أمام نسائه الأخريات وبخاصة في المجامع.

تعمَّدت هذا في المسجد عندما كانت الأحباش تلعب احتفالاً بالعيد، إنها تذكر تماماً نظراتهن إليها وهي تنظر إلى اللاعبين من فوق كتف رسول الله ﷺ عندما لاطفها بكنيتها المحببة إليه: «يا حُمَيراء أتحبين أن تنظري إليهم؟» قالت: نعم. حتى قال لها: «يا عائشة؛ ما شبعتِ؟» قالت:

ما شبعت. وظلت ترقُب اللاعبين من بين أذنه وعاتقه حتى شبعت.

عندما أطال النظرَ إليها تذكرت أنها لم تردَّ على طلب رسول الله، نظرت في عمق عينيه وقالت:

- والله يا رسول الله إني لأحبُّ قربك وأوثر هواك.

لكنها اليوم تفتقد ملاطفته المعتادة، أحست في نفسها وحشة لم تعهدها بقرب رسول الله ﷺ.

لا بد أن شيئاً ما أهمَّ رسول الله فأذهله عن رقَّته معها، روافد حبه لها كانت تأتيها كطيور نورانية عبر مفردات الحياة اليومية، تطوف كسحابات عطرية زاهية الألوان.

أما اليوم فالرسول مشغول عنها.

ترى ماذا أهمَّك يا رسول الله؟!





(٨)

ضَعفُ الشاعر

الشاعر يغزل الحروف، وينسِجُ من الكلمات قصائد وأهازيج، ويضفي على الحروف حياة وحركة، يُحدُّها حتى نجد لها وخز الإبرة وطعن النصل، ويُلينها فتكتسب رقة راحة الوليد، ويوقدها فتكوي كلهب النار، ويرقِّقها في حنان الأم المؤمنة.

الشاعر متوهج العاطفة، تتمدد عواطفه على مِساحة من عقله، تسبقه كلماته مدحاً وقدحاً كحمامات يطيرها في الفضاء بلا عودة.

حسان بن ثابت شاعرٌ يحمل راية، يقود كتيبة الشعر، ركب موهبة شعره ونذرها للذَّوْد عن رسول الله ﷺ.

مبعث قوة الشاعر وبؤرة ضعفه الكلمة، انزلق لسانه في الإفك، هو ذات اللسان الذي دافع به عن رسول الله وعِرضِه وصحْبِه.

هل تنفجر الكلمات؟

عندما بلغ صفوانَ بن المعطل أن حسان بن ثابت تكلم بالإفك، تحول صدره إلى أَتُّون محكم الإغلاق، انطلق الدم في عروقه حمماً بركانية مجنونة، وغاب وعيُه في تلافيف سحابات سُود، واندفع كموجة غاضبة اكتسحت سداً عاندها



لسنوات، طاف كأسد جائع يبحث عن فريسته التي جرحته وأفلتت.

عندما رأى حسانَ ضربه على رأسه بالسيف، وأطلق زفرات حارقة تدثَّرت في كلمات:

تَـلَـقَّ ذُبـابَ الـسَّـيـف عـنِّـي فـإنـنـي
غُـلامٌ إذا هُـوجِـيـتُ لـسـتُ بـشـاعـرِ

انتفض المسلمون فحاصروا صفوان المشتعِل، ومنعوا غضبه المتفجِّر من الفتك بحسان، وأحاطوا برأسه المصاب، أوقفوا نزيف الدم المتدفق، عالجوا جرحه الغائر، وصحبوه إلى رسول الله ﷺ.

النبيُّ آدمي اختاره الله لحمل رسالته إلى الناس، هذَّب أصله الطيني، علَّمه ما لا يعلم الناس، رقاه إليه وقرَّبه منه فأصبح نورانياً، إنسان يسير على قدمين بتوجيه من السماء، انضبط القلب فسلمت له الجوارح.

لم يجد النبيُّ محمد ﷺ في نفسه كراهيةً لحسان برغم ما بدر منه، رق لحاله، نظر إليه بإشفاق، استمع إلى شكواه من ضربة صفوان، عوَّضه عن إصابته ببستان من نخيل، وأهدىٰ إليه جاريته سيرين أختَ مارية المصرية، كانتا في هدية له من مقوقس مصر.

أي نفس تلك التي تتمتع بها يا محمد؟!

❁❁❁❁❁



(٩)

ظَنُّ الخَير

المحن تهزم الناس، تزلزل ثوابتهم، تبدل رؤيتهم للحياة، أو تزيدهم قوة وثباتاً. النبت الطبيعيُّ تفيئه الريح ولا تقتلعه. لكنها تجارب قاسية، تبقى بصماتها في النفس كأنْداب الجروح الغائرة، تبرد حرقة الجرح مع الزمن، وتبقى النَّدَبُ علامةً عليه برغم مرور الزمن.

عندما انزلقت الألسنة، شقَّ الإفك أخدوده الناري في جميع دروب المدينة، وتطاول بألسنته على المسلمين من أبواب المدينة وشرفاتها.

الزُّور الذي زينه ابن سَلول كان غريباً على نفوس المسلمين، رائحة نتنةٌ في جو عَبِقٍ بأرق العطور، تأباه الأذواق السوية.

كاد الغثيان يغلب أمَّ أيوب الأنصارية عندما صك أذنها خبر الإفك.. المؤمنة تعلم أنه ليس في كون الله مكان لنختبئ فيه من الله، الله يراها حيث تكون، يراقبها أينما حلت، يعلم خاطرها وما يكنُّ صدرها.

وعائشة فتاةٌ رقيقة نبتت في بيت رجل صدِّيق، وترعرعت في حَجْر النبي ﷺ فكيف يصدق العقل رغبتها في غير النبي؟!

غالبت كآبةَ الصمت السميك، ولاكت الحروف كمُضْغة عفنة عافتها نفسها، وأشعة عينيها مازالت تحفر في أرض الغرفة الترابي وقالت:

- أَسَمِعْتَ ما قيل يا أبا أيوب؟

رد بهدوء المؤمن الواثق:

- أكنت أنت يا أم أيوب تفعلين ذلك؟!

انطلق لسانها من بيئته الصمغية اللزجة بطلاقة:

- لا والله!

- فعائشة والله أفضلُ منك.

كلماته القليلة غسلت نفسها من أوساخ الإفك، سبحت في خلاياها، أمرتها بالاسترخاء والراحة، مسحت على القلب المرتجف مثل كف أمٍّ حانية فسكن واطمأن، أغرت جفنيها بالانزلاق لغلق الحدقة المتحجرة منذ زمن، وقالت في هدوء: نعم.





(١٠)

شُركاء النبيِّ

عائشة وزينب بنت جحش زوجتان لرسول الله ﷺ، كلتاهما أحبت النبيَّ كسائر نسائه، الغَيرة الزوجية غِلالة تبطن قلب المرأة، فإذا تشبَّع القلب بمفردات الإيمان، أصبحت الرؤية الإيمانية ضابطاً حاكماً ينظم مرور المشاعر.

كان هذا الضابط الحاكم بمنزلة اليد الرحيمة التي احتضنت زينب بنت جحش وعصمتها من السقوط في الفتنة.

عندما سألها رسول الله ﷺ عن عائشة قالت: (يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما علمتُ عليها إلا خيراً).

تجاوزت زينب شرَّ الإفك، لكن أختها حَمْنَة رأت فيما روَّجه المنافقون على عائشة دعماً لموقف أختها عند رسول الله ﷺ، بإزاحة منافستها القوية على حبِّه.

أما مِسْطَح بن أُثاثة فقد غرَّه التأويل الشيطاني لمشهد عودة عائشة علىٰ ناقة صفوان بن المعطل، وغاب وعيُه في خمر الفتنة عن حقيقة عائشة، وما تمثِّله لرسول الله ﷺ.







(١١)

الحُزنُ يَسكُن المَدينَة

على غير عادته لم ينطلق فرحاً إلى يثرب، ها هو أخوه جاءه، هذا دوره، إنهما يتبادلان العمل، أحدهما يتابع البُستان بأعالي المدينة، والآخر يتعلَّم من رسول الله ﷺ.

- ألن تنزل إلى المدينة؟

استدعاه السؤال، جذبه بقوة من دُوَّامة سوداء انزلقت نفسه فيها، حرك لسانه بثقل مَرَضِيٍّ وببرودة المهزوم.

- كيف تركتَ المدينة؟

- المدينة حزينة، غبار الفتنة طال الجميع، ليس منا أحدٌ لم يأخذ نصيبه منه.

- ورسول الله؟

- رسول الله أشد الناس حزناً، استطلع رأيَ أصحابه في الأمر.

- وماذا فعل؟

- لم يفعل شيئاً، ما يزال صابراً محتسباً.

عجيبٌ هو موقف الرسول ﷺ، لم يفعل شيئاً، ولم يأمر أحداً من أصحابه بفعل شيء! دقائق الزمن تحرق كرمال الصحراء في حرِّ الصيف، وكلمات المنافقين لها أنيابٌ حادة، وبراثنُ جارحة.

فاجأ صاحبه بقوله:

- لو كنتَ مكان رسول الله ماذا كنت فاعلاً؟

- من منا يطيق هذا؟!

دفن رأسه بين ذراعيه، وعَتَبَ في نفسه على أخيه الذي ألقمه سؤالاً فأعاده إلى ساحة علامات الاستفهام المنصوبة في داخله، تقذفه كلُّ علامة ليرتطم بأختها، ولا يكاد يُفيق من علامة حتى يسقط بين يدي علامة أخرى.

ألم يكن بإمكانه ﷺ أن يأمر بقتل من افتَرَوا على عائشة؟ أو يأمرَ من يُخرس ألسنتهم بعيداً عنه؟ أو يأمرَ بتحريم الكلام فيه، وتجريمه بعقوبة قاسية؟ ولماذا صمتَ هذا الزمن الثقيل الذي قارب على الشهر، والمنافقون ينهشون عِرْضَه في المجالس والطرقات؟

لماذا يتحمل كل هذا العذاب هو وزوجه الحبيبة وبيت الصدِّيق، ومن ورائهم عامة المسلمين؟

- ألن تنزل إلى المدينة؟

- لا. سأصلي هنا الليلة وأضرع إلى الله أن يفرِّج كربنا.





(١٢)

من عَظَمة النبيِّ

قُرابة شهر ويثرب تغلي كالمِرْجَل، صمتُ الرسول أغرى القلوب المريضة بالولوغ في عِرضه، وجبريل لم ينزل من السماء، حركة النبي مقيدة بالوحي.

الألسنة التي تمضغ عرضه في الطرقات والمنتديات محسوبة عليه، فمنهم منافقون، ولكن ظاهرهم الإيمان، ومنهم مؤمنون شهدوا معه معركة بدر وهؤلاء لهم منزلةٌ خاصة في قلبه.

ما يردد في يثرب كلام، ولم يشرع الله عقوبة على كلام، قذف لفتاة أحبَّها وعاشرها ويعرف صدقها وطهارتها، والرجل الذي اتهموه فيها، لا يعلم عنه إلا خيراً، ولا يدخل بيته إلا معه.

عندما سأل أسامةَ بن زيد وهو بمنزلة الحفيد، عن عائشة قال:

- (أَهلُكَ يا رسول الله، ولا نعلمُ والله إلا خيراً).

أما علي بن أبي طالب فأشفق على ابن عمِّه رسول الله ﷺ من وطأة المحنة عليه، فأشار بالمسارعة إلى تجاوزها وتخطي أيامها التي طالت وشقت على نفسه.

- (يا رسول الله، لم يضيِّق الله عليك، والنساء سواها كثير).

والرسول يرجو أن تنزل براءتها من السماء، وتسريح عائشة لا يعني تجاوز المحنة.

يتحرى رسول الله ﷺ من بَريرة، الجارية المرافقة لعائشة، إذا كانت رأت ما يَريبُها منها، فأرسلت عَبَراتها الحزينةَ وتبعتها بالقول:

- (لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت منها أمراً أَغْمِصُه عليها[١] أكثر من أنها جاريةٌ حديثة السن، تنام عن العجين، فتأتي الداجن فتأكله).

الألم المتفجِّر في نفسه ﷺ لم يدفعه لتجاوز الحق الذي يدعو إليه. مثال للكمال الآدمي، صورة نادرة للإنسانية الراقية.

لم تفارق النبي محمداً رحمته التي عرفه بها الناس، وقف خطيباً بينهم، وبثَّ فيهم شكواه ممن آذَوْه، طرح مكنون نفسه في هدوء باهر.

- (من يَعْذِرُني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمتُ على أهلي إلا خيرًا، وقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً، وما كان يدخل إلا معي).

وكأنه لا يملك سلطاناً!

وكأن أصحابه لن يسارعوا لتنفيذ أمره!

إنه الرجل الذي لا يتجاوز وحيَ ربه.

(١) أغْمِصُه عليها: أَعيبُه عليها.



(١٣)

عائشَةُ في أَتُّون المِحْنَة

أطلق المنافقون الإفكَ في المدينة ذئباً مسعوراً ينهش في المسلمين نهش الضواري المجنونة، فالمسلمون يؤذيهم ما بلغهم عن عائشة، وهي طاهرةٌ كماء الندى، غافلة عن الإجرام الذي تولى كِبْرَه هذه الفئة التي كذبت في إيمانها.

السحاب القُطني الناصع لا يلوِّثه طين الأرض، ونسائم ريح الصَّبا لا يخدشها نتن الجِيَف في المزابل والخرابات.

مسكينة يا حبيبة رسول الله!

مصادفةً علمتْ بالإفك، كانت آخرَ من علم بالمدينة، من رحمة الله بها أنها كانت غافلة عما يجري، قرابة شهر وكلمات المنافقين سَفُّود محمى لا يرحم، المؤمنون يتجرَّعون أحزانهم، ورسول الله صابر ينتظر أمر ربه.

عندما علمتْ ساخَتْ قدماها في الرمال!! نزل عليها الخبر كجبل صخري مصمت، بدد القولُ الشرير سعادتها، أحست بضربات قلبها كمِطرقة هائلة تضرب على طبل خرافي أجوف، فالنفس فراغ شاسع، والقلب هواء، ورمال الصحراء اللينة صارت صخرية، والعقل يدور بعفوية، في تيه لا محدود الأنحاء، وبيوت مدينتها الزاخرة قاحلة جرداء، واستتر القمر الأبيض خلف غيوم الليل خَفَراً وحياء.

لحظة واحدة انقلبت فيها جنتها عذاباً وشقاء، أنكرتها جميع الأشياء.

حُجرتها التي جمعتها برسول الله، فراشها ووسادتها ونمارقها البِيض، عرائسها التي كانت تلاعبها، أصبحت غريبةً عن كل الأشياء.

لم تشعر قبل ذلك بالوَحْشَة في وجود رسول الله.. كل شئ تغير.. لحظةٌ فارقةٌ بين السعادة والشقاء، هكذا تفعل جرعة السم القاتلة، تنطلق بجنون في أنهار الجسد الشاب فينهار، يسقط فجأة بلا مقدمات.

إنها تذكر الآن...

تذكر أن رسول الله ﷺ لم يلاطفها كما اعتاد أن يفعل، ولم يدللها ويناديها بالحُمَيراء، ولم يجلس إليها ويداعبها.

تذكر الآن أن رسول الله ﷺ كان مهموماً، بدا لها حزيناً.

تذكر أن رسول الله لم يجلس عندها منذ أكثر من ثلاثة أسابيع.

- هل صدَّقهم رسول الله ﷺ؟

دهمها السؤال كقطيع من الإبل المروَّعة من السِّباع.. خاطرٌ مجنون عربد في قلبها الجريح، إنها قد تحتمل الإفك، لكنها لن تستطيعَ قبول تصديق رسول الله به.

غرقت عائشة في جُبٍّ من الغم مجهول القاع.

إنها الآن لا تعرف ماذا تقول؟ أو ماذا تفعل؟

كانت غافلةً لا تدري شيئاً عما يحدث، والآن صارت تعلم.

عندما دخل عليها رسول الله وسأل عنها، لملمت شيئاً من قوَّتها الضائعة، واجتهدت بحثاً عن بقايا كلمات وقالت:

- ائذن لي إلى أبويَّ.



(١٤)

دُموع البَراءة

أظلت سحابة كئيبة بيت الصدِّيق، رماهم المنافقون بجُرم ما رماهم به أحدٌ في الجاهلية، فكيف يُرمَون به بعد أن أكرمهم الله تعالى بالإسلام؟ وفي ريحانتهم الصغرى التي شرفهم الله تعالى باقترانها برسول الله ﷺ.

منذ عادت عائشة من بيت رسول الله ودموعها تجري، تنبع بغزارة كعين فاضت من أرض حُبلى، يكاد كَبِدُها يتفطَّر، خاصمها النوم منذ علمت بالخبر الأسود. ليلة في بيت رسول الله، وليلتان ويوم عند أمها في بيت أبي بكر، تطعن ساعاتُ الحزن القلب بقسوة، تدعس المشاعرَ كعجلات معدَّات الرصف الغليظة، تحوِّل قُماشة النفس المتينة إلى خِرْقَة بالية.

طوفان الحزن أغرق بيوت المدينة، النساء يُشفِقن على عائشة، كيف تتحمل فتاة صغيرة هذا الظلم الفاحش الذي يهزم أعتى الرجال؟!

كن يأتين إليها، يجلسن معها، يشاطرنها الصمت والألم والدموع، يضرعن إلى الله أن ينزل جبريل ببراءتها، ولم لا؟

إن الله يحبُّ عائشة لأن رسول الله ﷺ يحبها؟

أما عائشة فكانت ترى أنها أهوَنُ على الله من أن يُنزل فيها قرآناً، لكنها كانت ترجو أن يخبرَ الله تعالى رسوله ببراءتها

في نومه.

الأيام البلهاء تخطو ببطء غير عابئة بعائشة، والليل حَيَوانٌ أسطوري مفزع يحتويها ببرودته وفراغه الكئيب، ولا أمل لها إلا أن تنتظرَ مع رسول الله البراءة من السماء.



(١٥)

لن يُضَيِّعَنا

في أول زيارة لرسول الله ﷺ لبيت أبي بكر الصدِّيق بعد استئذان عائشة إليه، دخل عليها، كانت على حالها تبكي ولا يَرْقَأُ لها دمع، وفي جوارها امرأة من الأنصار تواسيها بدموعها.

دخل رسول الله ﷺ ومن خلفه أبو بكر وأم رومان، تَطالَّت عائشة إلى وجهه بنظرة خاطفة، ثلاثة أيام لم تره، ثلاثة أيام تمدَّدت عبر مِساحة هائلة من الزمن.

عندما كان يدخل عليها كانت تسارع إليه كفراشة مبتهجة بألوان البُستان، لكنها اليومَ لا تقوى على الحركة، تحسُّ أن الهرم دَبَّ في أوصال جسدها الفتي.

سلَّم رسول الله ﷺ وجلس، تمنَّت عائشة أن يحدثها ويلاطفها كما عوَّدها.

نظر إليها وقال: «يا عائشة، فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرِّئُك الله، وإن كنت ألممت بشيء فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبدَ إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه».

لم يكن الشكُّ هو الذي أنطق رسولَ الله بهذه الكلمات، لكنه أراد أن يستمع إليها، أن يعرفَ موقفها من فمها، لم



يسألها من قبلُ عن رأيها فيما يتحدث به الناس.

سأل أصحابه وزوجاته وشكى إلى المسلمين ما يروِّجه ابن سَلول.

طال صمتُ عائشة، لا تعرف ماذا تقول. نظرت إلى أبيها وطلبت منه أن يجيبَ رسول الله، لكن أبا بكر لا يعرف بم يجيب رسول الله!

توجَّهت إلى أمها أم رومان لتجيبَ عنها رسول الله، لكنها أيضاً لا تدري بم تجيب!

أحست بروح غاضبة تسري في أوصالها، تتصاعد فيها، تمنحها قوة بعد ضعف، جفت دموعها وانتبهت، استدارت إلى مواجهتهم ورفعت رأسها في عِزَّة وقالت:

- (إني والله لقد علمتُ أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس، ووقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلتُ لكم إني بريئة- والله يعلم إني لبريئة- لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، واللهُ يعمل إني بريئة، لتُصَدِّقُنِّي، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسفَ إذ قال: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾).

مِن كثرة ما يمور في وجدانها نسيت عائشة اسم نبيِّ الله يعقوب، جارية صغيرة تحمل هماً كبيراً.

لم تشعر عائشة براحة منذ جاءها الإفك إلا بعد هذه



الكلمات، كأنها نزعت أحزانها ولفلفت فيها كلماتها وألقتها خارج نفسها الحزينة واسترخت، ثم تحوَّلت على فراشها.

لقد فوَّضت أمرها إلى الله وحدَه.

والله لا يُضيع أولياءه المخلصين.





(١٦)

وَنَزَلَ الوَحْيُ

كانت كلماتُ عائشة آخرَ ما سبح بفضاء الحُجرة، صمتُ الرسول المَهيب أسكت الجميع، نكس أبو بكر رأسه، وأم رومان انكمشت واستندت إلى الجدار، والأنصارية غابت في نفسها رهبةً من هَول الموقف، ورسول الله ﷺ شامخٌ في مكانه لا يتحرك.

لم يكسر جمودَ الحُجرة الجليدي إلا نظرةٌ شاخصة من أبي بكر الصدِّيق إلى رسول الله.

لاصطكاك أسنان رسول الله صوتٌ، استدارت عائشة وتفحصت بحنان وجهَ رسول الله، إنها تعرف هذه الحالة، إنه يرتعد وينفصم عنه العرق كحبِّ اللؤلؤ الفضي.

إن رسول الله يوحى إليه.

الآن تتصل السماء بالأرض.

الآن جبريل مع رسول الله يخبره عن الله عز وجل، والرسول يتلقَّى عن ربه.

العيون المحبة للرسول ﷺ تتطلع إليه بإشفاق، تترقب أن ينفصم عنه الملَك، دقائقُ لها في معيار التاريخ قيمة.

عندما غادر جبريلُ، ضحك رسول الله ﷺ، صدرت عن فمه فراشات ترفرف في أرجاء الحُجرة التي انفسحت

جدرانها، وازدان فضاؤها، وتطيَّبت بعطور لم يعهدها أهلها من قبل.

ضحك رسول الله ﷺ وهو لأكثر من شهر عاش حزيناً لم يبتسم.

بحنان دافئ نظر رسول الله ﷺ إلى عائشة، وبصوت تكسوه الفرحة قال:

- «يا عائشة، احمَدي الله، فقد برَّأك الله».

سكت أبو بكر، سكتت أمها أم رومان، سكت الجميع ليدافعَ الله عنها، يبعث جبريل بقرآن يُتعَبَّد الناس بتلاوته إلى يوم القيامة، ببراءة جارية حديثة السنِّ.

إنه الله اللطيف الخبير.





(١٧)

مَعَ الشدَّة يكونُ الفَرَج

أشرقت الشمس مبتهجةً على مدينة رسول الله، القُبَّة السماوية الصافية الزرقاء تحتضن في مودة بساط الصحراء الذهبي عند الأفق، ونسمات الرياح اللينة تطرح في الأجساد نشوة وفتوة.

فرَّت الذئاب من دروب المدينة تحت جُنح الظلام، وجفَّت مخاضاتها الآسنة، وأصبحت عيون الناس تتعانق بلا حرج، وخرج الأطفال في أمان يمرحون مع خيوط الصباح الفضية الأولى، وعادت الطيور التي هاجرت غماً وكمداً، وراحت الإبل تصدح منتشية برُغائها.

بعد شهر كامل انسحبت جيوش الفتنة الغازية، لملمت أشلاءها واندحرت، أخمد الله نيرانها في صدور المنافقين، أعقبَهُم حسرة وندامة يَصْلَون حسيسها مابقيت أرواحهم.

نشر الله الحكمة في كبد السماء.

علِم الناس قدر نبيهم وانضباطه بما يدعوهم إليه، بخلقه وصبره، بمكانته عند ربه. لقد نصبه الله للناس قدوةً لأنه الإنسان الأرقى، الإنسان الذي استوعب منهج الله فكان قرآناً يمشي على قدمين.

علِمتْ عائشة أن الله ليس بقاس على أوليائه، ولا يريد

تعذيبهم، وإنما يبتليهم ليعلنوا عبوديتهم، وينطرحوا ببابه، ويلوذوا بجَنابه، ثم يزكيهم ويصطفيهم ويرفعهم عنده وعند الناس.

علِم المسلمون أن الإفكَ لم يكن شراً، بل كان خيراً لهم.

علِم المجتمع المسلم أن محنةَ المسلمين بالإفك كانت درساً بليغاً يقدِّم حيثيات للتشريع الإلهي الرحيم.

علِم الناس جميعاً أن حقَّ الإنسان على أخيه الإنسان أن يحترمه ولا يؤذيه.

تمت

❁❁❁❁❁



قصة الإفك
كما روتها أم المؤمنين السيدة عائشة

في صحيح مسلم من حديث عَائِشَةَ زَوْجِ النبيِ ﷺ قالت: كان رسول اللهِ ﷺ إذا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سفرًا أَقْرَعَ بين نِسَائِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بها رسول اللهِ ﷺ معه.

قالت عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا في غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ فيها سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مع رسول اللهِ ﷺ، وَذَلِكَ بَعْدَ ما أُنْزِلَ الْحِجَابُ فَأَنَا أُحْمَلُ في هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فيه مَسِيرَنَا، حتى إذا فَرَغَ رسول اللهِ ﷺ من غَزْوِه وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا من الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حين آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حتى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ فلمَّا قَضَيْتُ من شَأْنِي أَقْبَلْتُ إلى الرَّحْلِ فَلَمَسْتُ صَدْرِي فإذا عِقْدِي من جَزْعِ ظَفَارِ قد انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ. . .

وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ على بَعِيرِيَ الذي كنت أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فيه. قالت: وَكَانَتْ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لم يُهَبَّلْنَ ولم يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إنما يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ من الطَّعَام فلم يَسْتَنْكِر الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ حين رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا. وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ ما اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بها دَاعٍ ولا مُجِيبٌ فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الذي كُنْتُ فيهِ وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ. . .

فَبَيْنَا أنا جَالِسَةٌ في مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وكان صَفْوَانُ بن الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قد عَرَّسَ من وَرَاءِ الْجَيْشِ فأدلج، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي، فَعَرَفَنِي حين رَآنِي وقد كان يَرَانِي قبل أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَيَّ فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حين عَرَفَنِي فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، ووالله ما يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً ولا سَمِعتُ مِنهُ كَلِمَةً غيرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حتى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِىءَ على يَدِهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِيَ الرَّاحِلَةَ حتى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ ما نَزَلُوا مُوغِرِينَ في نَحْرِ الظَّهِيرَةِ. . .

فَهَلَكَ من هَلَكَ في شَأْنِي وكان الذي تَوَلَّى كِبْرَهُ عبدُاللهِ بن أُبَيٍّ بن سَلُول.

فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ حين قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ في قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ ولا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ من ذلك! وهو يَرِيبُنِي في وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ من رسول اللهِ ﷺ اللُّطْفَ الذي كنتُ أَرَى منهُ حين أَشْتَكِي، إِنَّما يَدْخُلُ رسولُ اللهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يقول: كَيْفَ تِيكُمْ؟ فَذَاكَ يَرِيبُنِي، ولا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ. . .

حتَّى خَرَجْتُ بَعْدَ ما نَقَهْتُ وَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَح قِبَلَ الْمَنَاصِعِ وهو مُتَبَرَّزُنَا، ولا نَخْرُجُ إلا لَيْلًا إلى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قبل أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا من بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأُوَلِ في التَّنَزُّهِ، وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا.

فَانْطَلَقْتُ أنا وَأُمُّ مِسْطَحٍ وهيَ بِنْتُ أبي رُهْمِ بنِ الْمُطَّلِبِ بن عبد مَنَافٍ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بن عَامِرٍ خَالَةُ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بن أُثَاثَةَ بن عَبَّادِ بن الْمُطَّلِبِ. فَأَقْبَلْتُ أنا وَبِنْتُ أبي رُهْمٍ قِبَلَ بَيْتِي حين فَرَغْنَا من شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ في مِرْطِهَا فقالت: تَعِسَ مِسْطَحٌ. فقلت لها: بِئْسَ ما قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا قد شَهِدَ بَدْرًا؟ قالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ، أو لم تَسْمَعِي ما قالَ؟! قلتُ: وَمَاذَا قال؟ قالَتْ: فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ...

فَازْدَدْتُ مَرَضًا إلى مَرَضِي.

فلَمَّا رَجَعْتُ إلى بَيْتِي فَدَخَلَ عَلَيَّ رسولُ اللهِ ﷺ فَسَلَّمَ، ثُمَّ قال: كَيْفَ تِيكُمْ؟ قلتُ: أَتَأْذَنُ لي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قالَتْ: وأنا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَقَّنَ الخَبَرَ من قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لي رسولُ اللهِ ﷺ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فقلتُ لِأُمِّي: يا أُمَّتَاهْ ما يَتَحَدَّثُ الناسُ؟

فقالَتْ: يا بُنَيَّةُ، هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَاللهِ لَقَلَّمَا كانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إلا كَثَّرْنَ عليها. قالَتْ: قلتُ سُبْحَانَ اللهِ، وقَد تَحَدَّثَ الناسُ، بهذا؟! قالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حتى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لي دَمْعٌ، ولا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي...

وَدَعَا رسولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بنَ أبي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بن زَيْدٍ حين اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْتَشِيرُهُمَا في فِرَاقِ أَهْلِهِ! قالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بن زَيْدٍ فَأَشَارَ على رسُولِ اللهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ من بَرَاءَةِ

أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُم من الْوُدِّ، فقال: يا رَسُولَ اللهِ، هُمْ أَهْلُكَ ولا نَعْلَمُ إلا خَيْرًا. وَأَمَّا عَلِيُّ بن أبي طَالِبٍ فقال: لم يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وإن تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ.

قالَتْ: فَدَعَا رسولُ اللهِ ﷺ بَرِيرَةَ فقال: أَيْ بَرِيرَةُ، هل رَأَيْتِ من شَيْءٍ يَرِيبُكِ من عَائِشَةَ؟ قالَتْ له بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إن رَأَيتُ عَلَيها أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ عليها، أَكْثَرَ من أنها جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عن عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ. قالَتْ: فَقَامَ رسولُ اللهِ ﷺ على الْمِنْبَرِ فَاسْتَعْذَرَ من عبدِاللهِ بن أُبَيٍّ بن سَلُول.

قالَتْ: فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ وهُوَ على الْمِنْبَرِ: يا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي من رَجُلٍ قد بَلَغَ أَذَاهُ في أَهْلِ بَيْتِي؟! فَوَاللهِ ما عَلِمْتُ على أَهْلِي إلا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا ما عَلِمْتُ عَلَيه إلا خَيْرًا، وما كان يَدْخُلُ على أَهْلِي إلا مَعِي. فَقَامَ سَعْدُ بن مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ فقال: أنا أَعْذِرُكَ منه يا رَسُولَ اللهِ، إن كانَ من الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كان من إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ. قالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بن عُبَادَةَ وهو سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وكان رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فقال لِسَعْدِ بن مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ، لَا تَقْتُلُهُ ولا تَقْدِرُ على قَتْلِهِ، فَقَامَ أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ وهو ابنُ عَمِّ سَعْدِ بن مُعَاذٍ فقال لِسَعْدِ بن عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ

عن الْمُنَافِقِينَ. . .

فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حتى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ على الْمِنْبَرِ، فلم يَزَلْ رسولُ اللهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حتى سَكَتُوا وَسَكَتَ. قالت: وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذلك لَا يَرْقَأُ لي دَمْعٌ ولا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يَرْقَأُ لي دَمْعٌ ولا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي. . .

فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وأنا أَبْكِي، اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصارِ فَأَذِنْتُ لها، فَجَلَسَتْ تَبْكِي. قالت: فَبَيْنَا نَحْنُ على ذلك دَخَلَ عَلَيْنَا رسولُ اللهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، قالَتْ: ولم يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لي ما قِيلَ، وقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إليهِ في شَأْنِي بشَيْءٍ. قالَتْ: فَتَشَهَّدَ رسولُ اللهِ ﷺ حين جَلَسَ ثُمَّ قال. أَمَّا بَعْدُ، يا عَائِشَةُ فإنَّه قد بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا! فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إليه، فإنَّ الْعَبْدَ إذا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عليه.

قالَتْ: فلمَّا قَضَى رسولُ اللهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حتى ما أُحِسُّ منهُ قَطْرَةً، فقلتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا قال، فقَال: واللهِ ما أَدْرِي ما أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ. فقلتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ، فقالَتْ: واللهِ ما أَدْرِي ما أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فقلتُ وأنا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ

لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا من الْقُرْآنِ: إني واللهِ لقد عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قد سَمِعْتُمْ بهذا حتَّى اسْتَقَرَّ في نُفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ! فَإِنْ قلتُ لَكُمْ إني بَرِيئَةٌ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، لَتُصَدِّقُونَنِي! وَإِنِّي والله ما أَجِدُ لي وَلَكُمْ مَثَلًا إلا كما قال أبو يُوسُفَ: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

قالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ على فِرَاشِي، قالت: وأنا واللهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ واللهِ ما كنتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ في شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى، وَلَشَأْنِي كان أَحْقَرَ في نَفْسِي من أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ عزَّ وجلَّ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كنتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رسولُ اللهِ ﷺ في النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بها.. قالَتْ: فَوَاللهِ ما رَامَ رسولُ اللهِ ﷺ مَجْلِسَهُ، ولا خَرَجَ من أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ، حتَّى أَنْزَلَ الله عزَّ وجلَّ على نَبِيِّهِ ﷺ، فَأَخَذَهُ ما كانَ يَأْخُذُهُ من الْبُرَحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ حتَّى إنه لَيَتَحَدَّرُ منه مِثْلُ الْجُمَانِ منَ العَرَقِ في اليَوْمِ الشَّاتِ من ثِقَلِ القَوْلِ الذي أُنْزِلَ عليهِ.

قالَتْ: فلمَّا سُرِّيَ عن رسُول اللهِ ﷺ وهو يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بها أَنْ قالَ: أَبْشِرِي يا عَائِشَةُ، أَمَّا اللهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ، فقالَتْ لي أُمِّي: قُومِي إليه. فقلتُ: واللهِ لَا أَقُومُ إليهِ ولا أَحْمَدُ إلا اللهَ، هُوَ الذي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي. قالَتْ: فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡ...﴾ عَشْرَ آياتٍ

فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي.

قالَتْ: فقال أبو بَكْرٍ، وكان يُنْفِقُ على مِسْطَح لِقَرَابَتِهِ منهُ وَفَقْرِهِ: واللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَيه شَيئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذي قَالَ لِعَائِشَةَ. فَأَنْزَلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ...﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾. [قال حِبَّانُ بن مُوسَى: قال عبداللهِ ابن الْمُبَارَكِ: هذه أَرْجَى آيَةٍ في كِتَابِ اللهِ] فقال أبو بَكْرٍ: واللهِ إني لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لي، فَرَجَعَ إلى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ التي كان يُنْفِقُ عليه، وقال: لَا أَنْزِعُهَا منه أَبَدًا.

قالَتْ عَائِشَةُ: وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النبيِّ ﷺ عن أمري: ما عَلِمْتِ أو ما رَأَيْتِ؟ فقالت: يا رَسُولَ اللهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، واللهِ ما عَلِمْتُ إلا خَيْرًا. قالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ التي كانت تُسَامِينِي من أَزْوَاجِ النبيِّ ﷺ، فَعَصَمَهَا الله بِالْوَرَعِ، وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لها فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ.





وأما الآياتُ التي نزلَتْ من السَّماء شهادةً لأُمِّنا عائشة بالعفَّة والطهارة، والبراءة التامَّة فهي قوله تعالىٰ في سورة النُّور:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النُّور: ١١-٢٢].



جائزة الألوكة

مسابقة: «انصُر نبيَّك وكُن داعيًا»

هل أسلم القيصر؟

المشاركة الفائزة بالجائزة الثانية بفرع القصة

بقلم

محمد حسام الدين الخطيب




شبكة
الألوكة
www.alukah.net


الجديد
و
الحصري
NEW & EXCLUSIVE

هل أسلم القيصر؟

كانت الشمس تضيَّف للمغيب.. وكانت أشعتها الذهبية تنعكس عن أسوار قصر والي مدينة حِمْصَ السورية، لتبهر الأبصار وتردَّها كليلة عن مداومة النظر.. ففي داخل القصر تجري أمور تحرم رؤيتها على العامة.. لأنها من شؤون الخاصة وعِلْيَة القوم من كبار الساسة والقواد..

لقد انعقد في ذلك اليوم وفي ذلك القصر؛ مجلسُ حرب ضمَّ القيصر فمن دونه من عظماء الروم..

إنه آخر مجلس حرب يعقده القيصر هِرَقْل بشأن الحرب الدائرة بين الفرس والروم منذ سنين، وبتاريخ ذلك اليوم من السنة السادسة للهجرة الموافقة لـ(٦٢٨م) جرت أحداث آخر معركة دارت رحاها بين الطرفين..

وبعدها يتقرر مصير بلاد الشام.. أتكون تحت سيطرة الفرس، أم تحت سيطرة الروم؟ لا أحد يستطيع أن يجزم حتى الآن..

كان هِرَقْل قد عقد مجلسه ذاك منذ الصباح الباكر، مترقباً أخبار المعركة الدائرة.. وقد التفَّ حوله بطارقة الروم وأشرافهم وذوو المكانة منهم، وفي مقدمتهم الأُسْقُفُ الأكبر. ولم يغادر أحدٌ منهم قاعة المجلس إلا وقت الغداء.. ثم عادوا جميعاً.. وعاد معهم صمت مطبق خيَّم على القاعة.. واستمر حتى ساعة المغيب.. إنه صمت الترقب والتوجس..

وقطع هرقل حبل الصمت مخاطباً الأسقف الأكبر:

- لئن نصرنا الله على الفرس هذا اليوم يا أبانا، واستنقذنا منهم صليبنا الأعظم الذي استلبوه منا في المعركة السالفة؛ لأنطلقنَّ حاجّاً إلى بيت المقدس مشياً على قدميَّ شكراً لله.

فقال الأسقف الأكبر بثقة واطمئنان: إني لأرجو من الله النصر، ولأحجَّنَّ معك يا مولاي، مشياً على الأقدام؛ برغم تقدم السن بي.

ثم اتصل حبل الصمت من جديد.. ولم يقطعه إلا صوت الحاجب الواقف على باب قاعة المجلس يقول: مولاي القيصر؛ بالباب رسولٌ من ساحة المعركة.

واشرأبَّت أعناق الجميع.. وتلاقت أنظارهم على شفتي الحاجب.. وما كان أسرع من أن ارتفع صوت هرقل قائلاً: عليَّ به.

ودخل الرسول.. ووقف وسط المجلس لاهثاً وهو يؤدي التحية، ولم يمهله هرقل بل صاح به: ما وراءك؟.

فأجاب الرسول مبتهجاً: النصر يا مولاي!! لقد هزمناهم، واستنقذنا الصليب الأعظم، وهو مع القائد العام في الطريق إليك.

وتعالت صرخات الفرح والنشوة بالنصر؛ حتى ارتجَّ لها المكان..

وبحث الصمت لنفسه عن ملجأ في القاعة.. فلم يجد سوى زاوية منعزلة من زواياها، استطاع فيها أن يخيِّم على الأسقف الأكبر وهو ساجد شكراً لله.

وفي اليوم التالي؛ كان موكب القيصر، يتقدمه الصليب الأعظم، قد تهيأ للانطلاق من حمصَ إلى بيت المقدس مشياً على الأقدام؛ وفاءً بالنذر..

ومشى هِرَقْل بأُبَّهة الملك ونشوة الانتصار.. تُبسط له البُسُط على الطريق.. وتلقى عليه الورود والرياحين.. حتى انتهى إلى أرض فلسطين.. فيمَّم شطر بيت المقدس في إيلياء.. وهناك؛ أقام الأسقف الأكبر طقوس صلوات الشكر، والكلُّ سعيد مبتهج بحديث النصر!.

قضى هرقل في إيلياء أياماً كان يَعدُّها أسعد أيامه.. فقد اجتمع له فيها سرور الدنيا والدين.

أما سرور الدنيا؛ فقد انتصر على عدوِّه، واسترد ما كان احتله الفرس من بلاد الشام.

وأما سرور الدين؛ فها هو يحجُّ إلى الأرض المباركة، ويجدد فيها صلته مع الله، على طريقته التي تربى عليها..

وأقام هرقل على ذلك شطر مدة حجِّه.. إلى أن أصبح ذات يوم وقد استيقظ من نومه مكدراً مهموماً يقلِّب طرفه في السماء؟!

حاول جهده ليبدِّد عن نفسه ما اعتراها.. لكنْ عبثاً.. فما كان منه إلا أن أمر بعقد مجلس المُلك اليومي قبل وقته المعتاد..

وحضر عظماء الروم.. واصطفُّوا في المجلس على مراتبهم.. يتقدمهم الأسقف الأكبر، فخرج هرقل إليهم وهو على حاله التي استيقظ عليها.. وجلس على عرشه.

وهنا تقدم منه الأسقف الأكبر سائلاً بلطف وحُنُوّ: هل من شاغل يشغل بال مولاي؟

أجاب هرقل: أجل.

قال الأسقف: كلنا آذانٌ صاغية يا مولاي.

قال هرقل: لقد أُريتُ الليلة رؤيا ما أظنها أضغاثَ أحلام.

قال الأسقف: خيراً؛ ماذا رأيت يا مولاي؟

وتنبَّه جميع مَنْ في المجلس وأصغَوا منصتين..

قال هرقل: لقد أُريت أن مَلِكَ الختان قد ظهر!

قال الأسقف الأكبر: أأوَّلتها يا مولاي؟

قال هرقل بجد واهتمام: ما أراها إلا أحداثاً مزلزلة قادمة!

وأطرق الجميع متفكرين.. ما تفسير هذه الرؤيا؟!

ورفع الأسقف الأكبر رأسه وقال: مولاي القيصر؛ ما نعلم أُمةً تختتن إلا اليهود، وهم في سلطانك وتحت يدك.

وهنا تلقَّف القائد الأعلى للجيوش؛ عبارة الأسقف الأكبر متعجلاً وقال:

مولاي القيصر؛ ابعث إلى كلِّ من لك عليه سلطان في بلادك؛ فمُرْه فليضرب أعناق كل من تحت يده من اليهود؛ واسترح من هذا الهم.

وتناوب الحاضرون إبداء الآراء.. وتفرع الحديث.. ولم يتوصلوا إلى رأي قاطع.. فانفضَّ المجلس ذلك اليوم على لا شيء!

وفي اليوم التالي عُقد مجلس المُلك من جديد.. وعاد هرقل والحاضرون إلى تجاذب حديث نهار أمس.. وبينما هم كذلك؛ إذ بالحاجب يرفع صوته قائلاً: مولاي القيصر؛ بالباب رسولُ صاحب مدينة بُصْرى[١]، ومعه رجل آخر.

وتنبَّه الجميع.. وصدر إذن هرقل بدخول الرجلين.. فلما مثلا بين يديه، سأل هرقل الرسول قائلاً: ما الخبر؟.

قال الرسول: إن هذا الرجلَ الذي أحضرته معي؛ هو من بدو العرب؛ أهل الشاء والإبل، وقد حضر إلى سيدي صاحب بصرى وأخبره بحدث عجب قد ظهر في قلب بلاد العرب. فرأى سيدي أن يطلعكم عليه، ولو سألته حدثك.

فاستدعى هرقل ترجمانه الخاصَّ وقال له: سل هذا

(١) مدينة بصرى جنوبَ دمشق، كانت من أقرب مدن الشام إلى الحجاز.

العربي: ما الحدث الذي كان ببلاده؟

فسأله الترجمان، فقال العربي: خرج بين أظهرنا رجلٌ يزعم أنه نبي، قد اتبعه ناسٌ وصدقوه، وخالفه ناس، وقد كانت بينهم حروب، وتركتهم على ذلك.

فلما سمع هرقل الخبر قال: جرِّدوا هذا العربي من ثيابه.

فجردوه، فإذا هو مختون، فسأله هرقل: لِمَ أنت هكذا؟

قال العربي: نحن العرب نختتن[١].

فالتفت إلى من في مجلسه وقال: هذا والله تأويل رؤياي؛ لا ما قلتم.

ثم رد على العربيِّ ثيابه وصرفه مع الرسول الذي جاء به.

مرت بعد ذلك أيام.. وهرقل يقلِّب الأمور في فكره.. لعله يصل إلى رأي يبعد عنه التشويش الذي ألَـمَّ به من تفسير رؤياه..

تُرى؛ أظهر نبي حقاً؟ أم أن رجلاً كذاباً محتالاً يدعي هذا ليخدعَ به طائفة من البدو الأَغْرار؟.

وضحوة آخر تلك الأيام.. خرج هرقل إلى مجلسه اليوميِّ المعتاد.. واستغرق مع جلسائه في أحاديث السياسة والمُلك.. وبينما هم كذلك؛ إذ بصوت الحاجب يرتفع قائلاً: مولاي القيصر؛ بالباب رسول صاحب مدينة بُصْرى،

(١) كانت العرب في الجاهلية تختتن على دين إبراهيم.

ومعه رجل آخر.

وتنبه الجميع، وتساءل هرقل في سرِّه: ما الذي جاء به؛ ولم يمض على قدومه إلي سوى أيام؟! وأَذِن بدخول الرجلين..

فلما مثلا بين يديه، قال للرسول: ما الذي عاد بك؟

فقال الرسول: لقد حضر هذا الرجل الذي يرافقني؛ إلى سيدي صاحب مدينة بُصْرى، وأعلمه أنه يحمل رسالة إلى مولاي القيصر، وطلب أن نوصله إليكم.

فاستدعى هرقل ترجمانه الخاصَّ وقال له: سل الرجل من أنت؟

فسأله الترجمان.

فقال الرجل: أنا دِحْيَةُ بنُ خليفةَ الكلبيُّ.

قال هرقل: ومن حمَّلك الرسالة إلي؟.

قال دحية: حمَّلَنيها رسول الله ﷺ؛ النبيُّ الذي ظهر في مكة من أرض الحجاز.

قال هرقل والعجب بادٍ على محياه: أين هي؟!

فناولها دحيةُ الترجمانَ.

فقال هرقل للترجمان: فتشها؛ فإن وجدتَ عليها ختماً ففُضَّها، وإن كانت بلا ختم فاضرب بها وجه حاملها[1].

---

(١) كان من عادة الروم أن يهملوا الرسائل التي ترد إليهم بلا ختم، فنبَّه بعض الصحابة رسولَ الله ﷺ علىٰ هذا عندما كتب هذه الرسالة.

ففتش الترجمان الرسالة، فوجد عليها ختماً نقشُه: «محمد رسول الله».

فأخبر هرقل بذلك.

فأشار إليه أن فُضَّها واقرأ ما فيها.

ففضَّ الترجمان الرسالة وقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعدُ؛ فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الإريسيين[1]. ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عِمران: ٦٤]»[2].

فتناول هرقل الرسالة من الترجمان؛ ووضعها بين فخذه وخاصرته، وأمر بإكرام الرسولين، ثم أمر بإخلاء المجلس إلا من الأسقف الأكبر.

ولما خلا الرجلان؛ هرقل والأسقف. قال هرقل: لقد رأيتَ وسمعتَ، فماذا تقول؟

قال الأُسْقُفُ: يا مولاي؛ استدع الترجمان فليُعِد قراءة الرسالة.

(١) الإريسيين: الفلاحين.

(٢) "فتح الباري" (١/ ٣٢) و(٨/ ١٦٢).



فاستدعى هرقل الترجمان وأمره بإعادة القراءة.. فأعادها.. فلما انتهى منها؛ قال له الأسقف: أعد قراءة الفقرة الأخيرة منها مرة ثالثة، ثم انصرِف.

فأعاد الترجمان: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾، ثم انصرف.

وعاد الرجلان إلى خلوتهما.. فقال هرقل: لماذا استعدت الترجمان قراءة الفقرة الأخيرة يا أبانا؟

أجاب الأسقف: لأنني ما أراها كلامَ بشر!

هرقل: كلام من هي إذاً؟

أجاب الأسقف: لست أدري، ولعلي سأعرف بعد حين.

قال هرقل: أتبيَّنتَ أن صاحب الرسالة نبيٌّ حقاً أم هو دعيٌّ كذاب؟

أجاب الأسقف: أتثق بي يا مولاي؟

قال هرقل: كلَّ الثقة، والروم تعلم ذلك.. فقل ما شئت وامحضني النصيحة.

فتروَّى الأسقف قليلاً ثم قال: والله! إنك لتعرف يا مولاي ما تبشِّر به كتبنا عن نبيٍّ هذا الزمان؛ مِن اسمه حتى صفته.. لكن حتى نكون على بينة من أمرنا؛ أرسل إلى مستشارك

عالم اللاهوت في القُسْطَنْطينية واعرض عليه الأمر، وانظر بِمَ يجيبك؟.

قال هرقل: أصبت.

ثم كتب إلى مستشاره يُعلمه بأمر الرسالة ويستنصحه.. وجاءه الرد بعد أيام يقول: إنه لَلنبيُّ الذي كنا ننتظره، لا شك فيه، فاتَّبعْه وصدِّقه.

وخلا هرقل بالأسقف الأكبر من جديد، وعرض عليه مقالة مستشاره..

فقال الأسقف: أما أنا فإني موقنٌ أن محمداً نبي صادق.

قال هرقل - وكان داهية -: وأما أنا فلا بد لي من تحري الأمر بأكثر من هذا.

قال الأسقف: كيف؟

قال هرقل: سترى..

ثم استدعى صاحبَ شُرَطه وقال له: ابحث في كل أرض فلسطين؛ ولا تعد إلي إلا بصحبة رجل من قوم النبيِّ الجديد الذي ظهر في أرض العرب.

مع انبلاج الفجر.. كانت جمال قافلة قريش تتهادى بأحمالها خارجة من مكة، وقد يمَّم بها أصحابها شطر بلاد الشام.. وكان زعيم تجار قريش؛ أبو سفيان صخر بن حرب ابن أمية؛ على رأس تلك القافلة التي خرج أهل مكة لوداعها

عن بكرة أبيهم، فقد كانت أول قافلة لهم إلى الشام بعد إمضاء صلح الحُدَيبِيَة بين المسلمين والمشركين أواخر السنة السادسة للهجرة.

خرجت القافلة وهي مطمئنة إلى أن أحداً من المسلمين لن يعترضها عندما تمر في طريقها على يثربَ مدينة المسلمين، فالآن بات الجميع في هُدْنة يحترمها الطرفان. أما قبل صلح الحديبية فقد توقفت تجارة أهل مكة إلى الشام بسبب الحرب القائمة بين الطرفين. لذلك كانت تلك القافلة تحمل تجارات لأغلب أهل مكة، الذين تنفسوا الصُّعَداء وقد زال عنهم الحصار الاقتصادي.

تابعت القافلة طريقها.. ومرت على يثربَ.. ومنها على جميع المحطات التجارية بين يثرب والشام.. حتى وصلت أرض فلسطين. وهناك؛ سأل رجالُ القافلة زعيمهم:

- أين سنحط الرحال يا أبا سفيان؟

قال أبو سفيان: في غَزَّةَ على ساحل البحر.

- ولِمَ لا نذهب إلى دمشق أو إيلياء أو غيرهما من عواصم الشام الكبيرة؟

- لأن البضائع التي نحملها تناسب أهل مصر، وهؤلاء يتسوَّقون بضائعهم من غزة.

وتابعت القافلة مسيرها حتى وصلت غزَّة.



وفي المَيْدان الواسع الذي يحيط بغزة من جهة الشرق؛ حطت القافلة رحالها بين عشرات القوافل التي كانت تنزل هناك. إنها السوق الرئيسة التي كانت تجري فيها المبادلات التجارية بين القوافل القادمة إلى غزَّة من مُختَلِف أنحاء مصر والشام وبلاد العرب.

هذا عدا عن السفن التي كانت تفد أحياناً من أوربة عبر البحر المتوسط.

وفي سوق غزَّة، وبينما كان أبو سفيان ورجال قافلته يهمُّون بشد الرحال بعدما باعوا واشتَرَوا.. إذا بمنادي السوق يناديهم قائلاً: أيها القرشيون؛ أجيبوا داعي القيصر.

وبُهت القوم! وتناوبتهم الظنون.. فمثل هذا لا يبشر بخير.. لكنهم بادروا لاستطلاع الخبر..

فوجدوا صاحب شُرَط القيصر مع ثُلَّة من رجاله بانتظارهم. وتقدم صاحب الشرط منهم قائلاً: من أين أنتم؟.

فتكلم أبو سفيان وقال: نحن من بلاد الحجاز.

- أمن قوم الرجل الذي يدَّعي أنه نبي؟.

- أجل.

- إذاً أنتم طَلِبَةُ مولاي القيصر.

- ما الأمر؟! ألا أفصحت وطمأنتنا.

- لست أدري، لكن يجب أن ترافقوني إليه.



- وقافلتنا؟

- ليبقَ بعضكم مع القافلة، ولينطلق معي بعضكم الآخر.

وامتثل أبو سفيان وصحبه، فتركوا بعض الرجال صحبة القافلة، وأوصَوهم أن ينتظروهم حتى يعودوا إليهم.. ثم انطلقوا مع الشُّرَط حتى وصلوا إيلياء..

وبينما كان هرقل في مجلسه يتجاذب أطراف الحديث مع علية القوم من رجاله؛ إذا بالحاجب يدخل المجلس رافعاً صوته: مولاي القيصر؛ صاحب الشُّرَط بالباب ومعه جماعة من العرب.

فاهتم هرقل لِما سمع وقال: عليَّ بهم.

وهنا أترك أبا سفيان يقصُّ ما جرى له ولأصحابه بعد دخولهم مجلس هرقل:

«قال أبو سفيان: أُدخلنا على القيصر، فإذا هو جالس في مجلس ملكه وعليه التاج، وإذا حوله عظماء الروم. فقال لترجمانه: سلهم أيُّهم أقرب نسباً إلى هذا الرجل الذي يزعم أنه نبيّ؟. قال أبو سفيان: فقلتُ أنا أقربهم إليه نسباً.

قال: ما قرابة ما بينك وبينه؟. فقلت: هو ابن عمّ. وليس في الرَّكب يومئذٍ أحدٌ من بني عبد مناف غيري.

فقال قيصر: أدنوه. وأمرَ بأصحابي فجُعلوا خلف ظهري عند كتفِي.

ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه إني سائلٌ هذا الرجل عن الذي يزعُم أنه نبيّ، فإن كذَب فكذِّبوه.

قال أبو سفيان: واللهِ لولا الحياءُ يومئذٍ من أن يَأْثُرَ أصحابي عني الكذب لكذَبته حين سألني عنه، ولكني استحييتُ أن يأْثُروا الكذب عني فصدَقته.

ثم قال لترجمانه: قل له كيف نسبُ هذا الرجل فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب.

قال: فهل قال هذا القولَ أحدٌ منكم قبله؟. قلت: لا.

فقال: كنتم تتَّهمونه على الكذب قبل أن يقول ما قال؟. قلت: لا.

قال: فهل كان من آبائه مِن ملِك؟. قلت: لا.

قال: فأشرافُ الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟. قلت: بل ضعفاؤهم.

قال: فيَزيدون أم يَنقصون؟. قلت: بل يزيدون.

قال: فهل يرتدُّ أحد سَخطةً لدِينه بعد أن يَدخل فيه؟. قلت: لا.

قال: فهل يَغدر؟. قلت: لا، ونحن الآن منه في مُدَّةٍ نخاف أن يغدر.

قال أبو سفيان: ولم يُمْكِنِّي كلمةٌ أُدخل فيها شيئاً أتنقَّصه به- لا أخاف أن تُؤثَر عني- غيرُها.

قال: فهل قاتلتموه أو قاتلكم؟. قلت: نعم.

قال: فكيف كانت حربه وحربكم؟. قلت: دُوَلاً وسِجالاً؛ يُدال علينا المرَّة ونُدال عليه الأُخرى.

قال: فماذا يأمركم به؟. قلت: يأمرنا أن نعبدَ الله وحده لا نشركُ به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة.

فقال لترجمانه حين قلت ذلك له: قل له إني سألتك عن نسبه فيكم، فزعمتَ أنه ذو نسب، وكذلك الرسل تُبعث في نسب قومها.

وسألتك: هل قال أحدٌ منكم هذا القول قبله؟ فزعمتَ أن لا، فقلتُ لو كان أحدٌ منكم قال هذا القول قبله قلتُ: رجلٌ يأتمُّ بقولٍ قد قيل قبله.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفتُ أنه لم يكن ليدَعَ الكذب على الناس ويكذب على الله.

وسألتك: هل كان من آبائه من مَلِك؟ فزعمتَ أن لا، فقلتُ لو كان من آبائه مَلِكٌ قلتُ يطلب مُلك آبائه.

وسألتك: أشراف الناس يتَّبعونه أم ضعفاؤهم؟ فزعمتَ أن ضعفاءهم اتَّبعوه، وهم أتباع الرسل.

وسألتك: هل يَزيدون أو يَنقصون؟ فزعمتَ أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتِمّ.

وسألتك: هل يرتد أحدٌ سَخطةً لدِينه بعد أن يدخل فيه؟ فزعمتَ أن لا، فكذلك الإيمان حين تخلِط بَشاشتُه القلوبَ لا يسخَطُه أحد.

وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت أن لا، وكذلك الرسل لا يغدرون.

وسألتك: هل قاتلتموه وقاتلكم؟ فزعمتَ أن قد فعل، وأن حربكم وحربه تكون دُوَلاً، ويُدال عليكم المرة وتُدالون عليه الأخرى، وكذلك الرسل تُبتلى وتكون لها العاقبة.

وسألتك: بماذا يأمركم؟ فزعمتَ أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئاً، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، ويأمركم بالصلاة، والصدق والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة. قال: وهذه صفة نبي قد كنتُ أعلمُ أنه خارج، ولكن لم أعلمْ أنه منكم، وإن يكُ ما قلتَ حقاً فيوشكُ أن يملكَ موضع قدميَّ هاتين، ولو أرجو أن أخلُصَ إليه لتجَشَّمْتُ لقاءه، ولو كنتُ عنده لغسلتُ قدميه.

قال أبو سفيان: فلما أن قضى مقالتَه عَلَتْ أصوات الذين حولَه من عظماء الروم وكثُر لَغَطُهم، فلا أدري ماذا قالوا. وأُمر بنا فأُخرجنا»[١].

---

(١) "صحيح البخاري"، كتاب الجهاد والسير، الحديث رقم (٢٩٤١)، و"فتح الباري" (٦/ ١٣٦-١٣٧).

وعاد أبو سفيان وصحبه أدراجهم نحو قافلتهم في غزَّة..

أما هرقل فقد أمر بإخلاء المجلس إلا من الأسقف الأكبر.. فلما خلا الرجلان قال هرقل: لقد رأيتَ وسمعتَ فماذا تقول؟.

قال الأسقف الأكبر: أما أنا فقد زاد يقيني أن محمداً نبيٌّ صادق.

قال هرقل: وأنا كذلك!

قال الأسقف: فماذا تنتظر؟.

قال هرقل: أما رأيت وسمعت اللَّغَط الذي ساد المجلس عندما ألمحتُ إلى صدق هذا النبيِّ في حديثي مع العرب.

قال الأسقف: فما أنت فاعل؟.

قال هرقل: يجب أن أعرض الأمر صراحةً على عظماء الروم، وأخبرهم أنني عازمٌ على الدخول في دين الإسلام حتى أَسبُرَ غَوْرَهُم.

قال الأسقف: نِعم الرأي؛ لكن لا تفعل هذا هنا وأنت بعيدٌ عن عاصمة ملكك، بل انتظر حتى تعودَ إلى حمص، وهناك تكون أقرب إلى بلادك، فإن حدث ما تكره، توجَّهت من فورك إلى القسطنطينية.

قال هرقل: نعمَ الرأي رأيك.

وفي اليوم التالي صدرت أوامر هرقل بالتهيُّؤ للرحيل عن

إيلياء، والتوجه بطريق العودة إلى حمص، وما هي إلا أيام قلائل حتى وصلتها مواكبه.. فاستراح فيها من وَعْثاء السفر، ثم دعا إلى اجتماع مهم في قصر والي حمص!. وتوافد عظماء الروم إلى القصر.. حتى إذا اكتمل عددهم أمر هرقل سراً بإقفال جميع أبواب القصر، ومنع الدخول والخروج..

ثم أشرف هو على الجميع من مكان مرتفع حماية لنفسه من أيِّ اعتداء قد يبدر من بعض الحاضرين.. ووقف هُنَيهَة مطلاً عليهم حتى ساد الصمت.. ثم بدأ فقال:

- يا معشر الروم؛ هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يَثبتَ لكم مُلككم، فتبايعوا هذا النبيَّ الذي ظهر بأرض العرب؟.

فنفروا نفرة حُمُر الوحش إلى الأبواب يبغون الخروج، فوجدوها قد أُقفلتْ.

فلما رأى هِرَقْلُ نفرتهم، أَيِسَ من إيمانهم. فأمر بردِّهم إلى مكان الاجتماع.. فلما رُدُّوا إليه قال لهم:

إني إنما قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدَّتكم في دينكم، فقد رأيت ما سَرَّني.

فسجدوا له ورضوا عنه.

وفي اليوم التالي؛ خلا هرقل بالأسقف الأكبر وقال له:

ليس إلى ما نفكِّر فيه من سبيل. ولن يوافقَنا أحد من عظماء الروم على ما نحن بصدده.

قال الأسقف: أما أنت فقد حاولتَ معهم فأَعذَرت. وأما أنا؛ فأرى من الواجب عليَّ أن أحاول معهم أيضاً.

قال هرقل: كيف؟.

قال الأسقف: غداً يوم الأحد، وسوف أجتمع إليهم في الكنيسة لأداء الصلاة وإلقاء الموعظة. وسنرى ما يكون.

وفي صباح يوم الأحد؛ طرح الأسقف الأكبر ثياباً سوداً كانت عليه، ولبس ثياباً بيضاً، ثم أخذ عصاه يتوكأ عليها، وانطلق إلى الكنيسة..

وما إن اكتمل المصلون، وفي مقدمتهم عظماء الروم؛ حتى أشرف الأسقف الأكبر على الجمع ليلقيَ موعظته، فقال: يا معشر الروم، إنكم تعلمون أنه قد جاءنا كتابٌ من أحمدَ نبيِّ هذا الزمان، يدعونا فيه إلى الله عز وجل، وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن أحمد عبده ورسوله.

وما كاد الأسقف الأكبر يُتمُّ لفظ الشهادتين؛ حتى وثب عليه عظماء الروم وثبة رجل واحد.. فضربوه حتى قتلوه!!.

ووصل الخبر إلى مسامع هِرَقْل فقال: يرحمه الله، ما رأيته يوماً متنكِّباً عن الحق.

ثم أمر بدفنه.. وتهيَّأ من فوره للانطلاق نحو القسطنطينية.

تمت

❁❁❁❁❁





جائزة الألوكة

مسابقة: «انصُر نبيَّك وكُن داعيًا»

أنا وفيليب ومحمد

المشاركة الفائزة بالجائزة الثالثة بفرع القصة

بقلم

أسامة عبدالمنعم الزيني




الجديد
و
الطريف
NEW & EXCLUSIVE

أنا وفيليب ومحمد

لا أعرفه.. للمرة الأولى سمعت باسمه من فيليب.. كان عامنا الجامعيَّ الأول..

أمضيت مع فيليب أجمل أوقات يمكن أن تُتاح لفتاة برفقة شاب رائع..

فيليب كان حنوناً ودوداً، يبحث عن أي شيء وكل شيء قد يجعلني سعيدة..

يقلِّد لي أصوات الحَيَوانات والطيور..

مرة التفتُّ إليه وكنا نمشي معاً في الطريق، فانفلتت مني ضحكة عالية، عندما شاهدته يمشي على يديه..

فيليب كان يأتي بالأعاجيب ليحتفظ بابتسامتي طَوال الوقت.. دائماً يقول إنها وَقودُ مكوكه الفضائي الذي ينوي أن يخترق به الفضاء..

فيليب كان يحلم كثيراً، وعلمني أن أحلم مثله..

كان يرى الأشياء جميلةً ومواتية، وعندما تعتريني نوبةٌ من اليأس يقول لي: "أغمضي عينيك"..

ثم يأخذني من يدي ويقول: "إذا يئست من مواصلة السير في العالم، فأغمضي عينيك هكذا، ثم أمسكي بيدي، ودعي لي مهمة قيادة الطريق، فإذا اشتقت إلى رؤية وجهي؛ فافتحي عينيك"..

ولم أكن أغلق عينيَّ أبداً؛ لأني كنت دائماً أشتاق لرؤية وجه فيليب الضحوك المتفائل يقول لي: "تفاءلي".

فيليب كان حبيبي، وصديقي، وأسرتي التي أفتقدها كثيراً حيث منزلنا الجميل في الريف الإنكليزي..

فيليب كان زميلي، وأحياناً أستاذي حين تفوتني إحدى المحاضرات..

فيليب صار عالمي الذي هجرتُ العالم إليه.. أحلامي التي أنتظرها أن تتحقق، ولذتي التي لا تنتهي.

انتهى عامنا الجامعيُّ الأول لا أعرف كيف!!..

الوقت يمر سريعاً برفقته..

لكن فيليب قُبيل اختبارات نهاية العام، بدأ يتغير.. يعتريه الصمت أحايين كثيرة دون مُسوِّغ..

أكثر من مرة كنت أنتهي من حديثي ثم أكتشف أن فيليب الجالسَ بجواري لم يكن يسمعني، ولم يكن يخبرني عمَّا يفكر!.

كان يطيل النظر إلى الأفق كأنه يحدِّق في شيء.. هل ثَمَّ شيء في الأفق حقاً؟! شيء يراه ولا أراه؟!

كنت على يقين في تلك الآونة التي يتأمل فيها الأفق أنه لا يسمعني، ولا يشعر بأصابعي التي تتغلغل في شعره في محاولة لاستعادته من رحلته، بل ربما لا يشعر بوجودي أصلاً.

فيليب بدأ يختلق الأعذار ليتهربَ من مرافقتي إلى مخدعي.. هل ثَم شيء طرأ عليّ؟!..

ألست جميلة حقاً كما كان يردد دائماً؟!..

ألم أعد أعجبه؟!..

هل ثَم فتاة أخرى؟!.. ولكن أين؟!..

أسئلة لم أكن أطرحها على فيليب، لربما كان لا يريد الإجابة عنها..

يعود في وقت متأخر من الليل.. يتسلل إلى غرفته حتى لا أشعرَ به..

أكثر من ليلة لم يعد إلى مسكننا أصلاً..

اعتاد أن يمضيَ بعض الليالي برفقة أصدقائه الطلاب العرب الذين تعرَّفهم في مكتبة الجامعة.

تيقَّنت أن فيليب يتهرب من المبيت في فراشي عندما ألفيته يوصد باب غرفته عليه من الداخل..

جُنَّ جنوني..

خِلت أن برفقته فتاة أخرى..

طرقت عليه باب غرفته بقوة، لكن فيليب فتح لي الباب وهو يفرُك بقايا النعاس في عينيه، ولم يكن ثِم أحد في الداخل..

تعلل بأنه (نسي) وأوصد الباب..

بيد أن نسيانه المتكررَ أكد لي أن فيليب يتهرب من فراشي.

لا أنسى تلك الليلة التي انتظرته فيها حتى عاد في وقت متأخر..

كنت في حاجة إليه..

بدأت بغوايته حتى اقتدته إلى غرفتي..

ليلتها ردَّد أكثر من مرة: "لا.. لا.. لا ينبغي أن نفعل ذلك.. لورا.. حرام.. حرام"..

لم أكن أعرف تحديداً ماذا يعني بتلك الكلمة.. (حرام)!! حسبتها كلمة عابرة، وأن فيليب معتكرُ المزاج لا أكثر..

لكن فيليب بعد أن فرغ مني.. تمدد بجواري على الفراش يراقب سقف الغرفة.. فاغر العينين..

هَمَّ فجأة وهو يكتم فمه بيده..

اندفع إلى المِرحاض، وسمعت دويَّ قيئه عنيفاً كأنه يفرغ أحشاءه..

هُرعت إليه، فوجدته جاثياً على ركبتيه يبكي..

رفع رأسه.. تأملني بعينين دامعتين متوسلتين.. "لورا.. لا ينبغي أن نفعل ذلك ثانية.. ساعديني أرجوك".

ليس هذا فيليب الذي أعرفه..



فيليب تغيَّر كثيراً.. ولم يكن يجيب عن شيءٍ من أسئلتي..

دائماً يؤكد لي أنه لا يزال يحبني، لكنه يفكر في صيغة أخرى لعلاقتنا..

ولم أكن أعرف أيَّ صيغة يقصد، ولا كيف تكون تلك الصيغة؟!.

رفقاء الدراسة الذين كانوا يختلسون النظر إلينا، بدؤوا يلاحظونني أجلس وحيدة كثيراً بجوار المقعد الفارغ الذي ينتظر معي عودة فيليب..

فيليب الذي بدأ يُمضي معظم وقته برفقة أصدقائه العرب..

كنت أحاول الاختلاط بهم كلما شاهدته جالساً معهم على أمل استعادته، أو حتى البقاء بجواره، وإن لم يشعر بوجودي...

كان الشبان ودودين مع كثير من التحفُّظ..

كانوا يتحاشَون النظر إليَّ.. كان أحدهم يخاطبني وهو ينظر في اتجاه آخرَ أو ينظر إلى الأرض، حتى أني كنت أظنه لا يخاطبني..

كان فيليب يلفت انتباهي:

- لورا.. إنه يتحدث إليك..



- ولكنه لا ينظر إليَّ.. هل أنا قبيحة إلى هذا الحد؟!

- لا.. بل لأنك جميلة إلى هذا الحد!!

ويضحك فيليب، ويضحك الشبان.. وأنا لا أفهم شيئاً..

كانت تثور ثورتي...

لكن فيليب بوداعته، أوضح لي أنهم مسلمون، وأن دينهم يأمرهم ألا يطيلوا النظر إلى النساء الأجنبيات، وأن هذا أحد الأشياء المحرمة عليهم.

تعجبت كثيراً من شأن هؤلاء.. تعجبت أكثر لشأن فيليب الذي بدا آلفًا لهم، كأنه واحد منهم.. بل إنه طلب مني أن أتحفَّظ في ملابسي عندما أكون برفقتهم، حتى لا أسبب حرجاً للشبان الذين يتحاشَون الاختلاط بالفتيات والنظر إليهن.

فيليب تغير حقًّا!!

كثيراً ما كنت ألمح في يديه بعض الكتب التي يدلف بها إلى غرفته سريعاً، ثم يُمضي أوقاتاً طويلة في قراءتها..

لم أكن أشكُّ أنها تخص أصدقاءه العرب، الذين شاركوني قلب فيليب وعقله...

ولولا إصراري على مشاركتهم فيليب، حتى وهو معهم، لما تركوا لي منه شيئاً.

بدأ يتسرب إلي يقين أن شيئاً خطيراً يحدث..

أن فيليب.. ربما.. ربما يفكِّر أن يعتنق دينهم..



شواهد كثيرة تؤكد ذلك..

هجره رفقاء دراستنا، وملازمته هؤلاء الشبان..

ابتعاده عني حتى وهو معي..

عاداتهم ومعتقداتهم التي يتحدث عنها وكأنه أحدهم.. الكتب التي يتسلل بها..

دخان البَخُور الشرقي الذي يتسرب من تحت باب غرفته الموصدة عليه كل ليلة..

(الترانيم) العربية التي أسمعه يردِّدها في جوف الليل ثم يبكي بصوت مرتفع..

نعم.. فيليب دخل دينهم.. (فيليب يضيع مني)!!

ذات صباح أفقت من نومي على طرقات فيليب القوية على باب غرفتي، وصياحه في الخارج..

- لورا.. افتحي.. افتحي سريعاً يا حبيبتي.

فيليب لم يعد يدخل عليَّ غرفتي وأنا نائمة.. كان يتحاشى النظر إلي وأنا متخففة من ملابسي تماماً مثل رفاقه..

كنت أتحفَّظ في ملابسي حتى لا أغضبه، كنت أخشى أن يأتيَ يوم يقرر فيه الاستقلال عن مسكننا.

ارتديت ثيابي التي يرتضيها فيليب.. فتحت الباب.. شاهدته يقف أمامي مرتعداً فرحاً خائفاً ملتمع العينين..

- ما الذي ألمَّ بكَ؟

- رأيتُه..

- رأيتَ من؟ وأين؟

- الرسول يا لورا.. رأيت الرسول..

- فيليب.. أي رسول؟

- محمد.. رأيت سيدنا محمدًا.. حلمت به.. أنا مسلم يا لورا.. أنا مسلم.

صرخ وضحك وبكى، وأنا لم أزل واقفة في ذهولي من وقع الصاعقة..

(سيده محمد)!!.. وفيليب مسلم!!

قالها صراحة!!

كانت المرة الأولى التي أسمع فيها بهذا الاسم.. محمد..

لم أكن أتوقَّع أنه سيصبح اسمَ الرجل الذي أحبه..

فقد أخبرني أنه لم يعد يرغب في اسم (فيليب)، وأنه يحب أن أناديه باسمه الجديد.. (محمد).

ولكنني أحببت فيليب.. محمد هذا لا أعرفه.. لم أحبه.. صرخت فيه:

- أنا لم أحب محمداً هذا ولا أعرفه.. أنا أحبك أنت.. أنت فيليب المسيحي..

نظر إلي نظرة باردة لم أرها في عينيه من قبل، وتمنيت أني لم أرها أبداً. . بدا واضحاً أنه لم يكن يودُّ سماع ذلك مني. .

- لورا. . أنا محمد. . محمد المسلم. . فيليب المسيحي أصبح ماضياً. .

أنا مسلم يا لورا وأتمنى أن تكوني مسلمة أيضاً. . لكنني سأترك لك الخيار. .

موافقتي على وجود رسول الشبان العرب في حياتنا كانت بطاقة مرور لي إلى عالم فيليب الجديد. .

حقيقة لم أكن أحبه، ولم أكن أكرهه. . مشكلتي أني لم أكن أعرفه!

فيليب الجميل كان يقدِّر هذا. . قال إنه لن يرغمني على الدخول معه في الإسلام، وإن دينه الجديدَ يسمح له بأن يتزوجني وأنا مسيحية. .

قال أيضاً إنه يتمنى أن أكون مسلمة؛ لأنه يريد أن أكون زوجته في الجنة. . وهذا لا يتسنَّى لي إلا إذا كنت مسلمة. .

قال لي فيليب: "لا أتصور أنك لا تشاركينني أهم شعور في حياتي. . حبَّ محمد". .

عندما قلت له إني أحب كل الأشياء التي يحبها، حتى رسوله محمد، قال لي: "ليس ذاك يا لورا. . يجب أن تكوني مسلمة حتى تستطيعي أن تحبي محمداً. . يجب أن

تعرفي من يكون الرسول.. يجب أن نحب محمداً أكثر مما يحب كلٌّ منا الآخر.. أنا أحبك يا لورا.. لكنني أحب الرسولَ أكثر.. هذا هو الإسلام".

لم أكن أتصور أن أسمع من فيليب يوماً أنه يحب شيئاً أكثر مني..

لكن شعوري بأنه لا يزال يحبني جعلني أوافق.. المهمُّ في النهاية أن أكون مع فيليب..

لا يهم.. فليحبَّ العالم بأسره ما دام يحبني.

محمد!! ما الذي يجعل الشبان العرب يحبون هذا الرجل هكذا، كما لو كان حياً يجلس بينهم ويتحدث إليهم؟!

حتى فيليب أصبح يحبه كما لم يحب أحداً من قبل!

يحبه أكثر مما يحب أبويه وأسرته.. أكثر مما يحبني أنا لورا.. لا أصدق!!.

كان عليَّ أن أقبل.. ليكن فيليب مسلماً.. وليكن اسمه محمداً.. وليحب محمداً أكثر مني ومن أي شيء..

كان عليَّ أيضاً أن أوافقَ على طلب فيليب أن يتزوجني ونحن ما زلنا طالبين..

فيليب قال إن صداقتنا محرمة في دينه الجديد.. وإن علينا الزواجَ إن أردنا الاستمرار معاً.. وما كنت لأرفض.

تزوجت فيليب على رغم معارضة أهلي.. استطعنا أن

نعمل وندبِّر حياتنا..

فيليب بدأ يطلب مني أشياء لم أعتدها.. طريقة لباسي مثلاً، واختلاطي بالآخرين..

كان يقول: إن زوجات الرسول وبناته كنَّ يلبسن ثياباً ضافية على أجسادهن، ويغطين وجوههن، ويخاطبن أصحاب الرسول من وراء حجاب..

ذكَّرته أنني ما زلت مسيحية..

قال لي: "ولكنني مسلم.. إنني أغار عليك يا لورا"..

أمر مدهش.. فيليب يغار، ويقولها صراحة..

مفردات جديدة بدأتُ أسمعها ولا أكاد أصدقها.. المدهش أكثر أني لم أعترض..

والمدهش أكثر وأكثر أنني لبَّيت كل ما طلب مني وما رغب..

ثمة شيء داخلي كان يستجيب لكل ما يفعله بي فيليب وصاحبه (محمد)..

فيليب لم يعد يتحدث عن رغبته الخاصة في شيء ما..

كلُّ ما كان يطلب مني أن أفعله أو لا أفعله أشياء تتعلق بموافقة (الرسول) أو رفضه..

كان يساورني شعور أنني سأعود يوماً إلى مسكننا فأجد فيليب جالساً يتحدث معه، مع علمي بموته من مئات السنين!



لم أعد أستغرب شيئاً!!

إنه يدير حياتي مع فيليب من قبره، بل وحياة الشبان العرب، بل وملايين المسلمين الذي علمتُ أنهم يُخضعون أنفسهم لرقابة ذاتية صارمة، ليتيقَّن أحدهم أنه لم يأت شيئاً يغضب الرسول، وأنه يفعل كل ما يرضيه عنه؛ لأن الربَّ سيرضى إذا رضي الرسول..

ملايين المسلمين يعتقدون ذلك..

ملايين البشر يحبون رجلاً واحداً كل هذا الحب، ويتعلقون بحبه كطوق نجاة أتيح لغريق..

ملايين البشر يتسابقون إلى التشبُّه برجل ولد وعاش ومات في صحراء العرب..

ما الذي جعل أفكاره تلك تبرح صحراءها في ذلك الزمن القديم، وتنتقل آلاف الأميال حتى تقطع طول الأرض وعرضها، ثم تمتد عبر الأجيال يتناقلونها في تفاصيلها الدقيقة..

حتى معاشرة فيليب إياي، كان يحرص على أن تكون أشبهَ بمعاشرة (محمد) لزوجاته.. طعامه.. شرابه.. حديثه.. علاقاته بالآخرين..

حتى سلامه عليَّ عند عودته.. كل شيء تغير..

أنا أيضاً بدأت أتغير.. محمد غير كل شيء..



كنت خائفةً من المجهول الذي أرتاده مغمضةَ العينين. .

لا أعرف فيه سوى فيليب الذي يأخذني من يدي، فأتبعه إلى حيثما شاء. .

كنت في حاجة إلى معرفة شيء عن ذلك المجهول (محمد). .

اسم وجدته أخيراً في ثنايا بعض كتبنا. . سيرته وشهادات عنه. . لأكثر من بروفيسور. .

كثيرون يرونه عبقرية نادرة. .

محمد فيلسوف العرب، الذي رسم لهم معالم المستقبل، ولم يحيدوا هم وغيرهم من المسلمين غير العرب عما رسمه لهم إلى الآن. .

صغارهم يرضعون حبَّه من أثدي أمهاتهم. .

ثم يتعهدهم الآباء كباراً بتعاليم الرجل الذي يصرُّ المسلمون على أنه رسول وليس فيلسوفاً كما تقول بعض كتبنا. .

ما أدهشني أن الرجل كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فأين تعلم رجل الصحراء الأميّ الفلسفة؟!. .

أسئلة بدأت تجد طريقها للمرة الأولى إلى عقلي. .

محمد لم يكن بالنسبة إليَّ أكثر من قنطرة يجب أن أعبر عليها إن أردت أن أكون مع فيليب. .

ستار أُسدل حول جسدي بل وحياتي كلها برغبة من فيليب الذي أحب الرجل حتى أشهر إسلامه، وسعى إلى تغيير اسمه رسمياً فأصبح (محمد شيرار).

محمد لم يعد مجرد أشياء تحدث من حولي وتُفرَض عليَّ. .

محمد بدأ يدير حواراً داخلي. .

من المؤكد أن رجلَ الصحراء الأميَّ لم يكن فيلسوفاً. .

ومن المؤكد أيضاً أنه لم يكن رجلاً عادياً. .

محمد بالنسبة إلى المسلمين - الذين أصبحت زوجة أحدهم- فلك تدور فيه حياتهم، يحبونه أكثر مما يحبون أنفسهم. .

طريق لا تحيد عنه خُطاهم. .

أمنية أحدهم أن يقدم ما يرضي عنه (الرسول) في الحياة الآخرة، التي سيبعث الربُّ الناس إليها، حيث يكون أكثرهم حباً لمحمد واتِّباعاً له أقربهم منه في تلك الحياة.

زجي فيليب كان أحد هؤلاء الذين سيطرت عليهم الفكرة. .

الحياة مع محمد. .

الشبان العرب كذلك. . وملايين المسلمين يتملكهم ذلك الاعتقاد. .

ملايين المسلمين يعيشون على أمل لقاء محمد في الآخرة والسلام عليه والعيش إلى جواره.

وأنا.. هل سأكون معهم؟..

هل سيُفرض علي أن أعيشَ مع محمد في الحياة الآخرة كما فُرض علي العيش معه في الدنيا في كل دقيقة من دقائق حياتنا التي نتنفس فيها هواء (محمد) الذي يملأ به فيليب بيتنا؟!..

لا.. فيليب قال إن ذلك لن يحدث.. لأنني ما زلت مسيحية..

وجنة (محمد) لا يدخلها إلا المسلمون..

يا إلهي.. ولكن فيليب سيكون معه..

هل يعني هذا أنني سأكون من دون فيليب في الحياة الآخرة؟!.

هل حقاً سأكون وحدي؟!!..

مع مَن؟!.. مع يسوع مثلاً؟!!..

ولكن فيليب قال إن محمداً ويسوع أخَوان، وإنهم جميعاً سيكونون معاً..

محمد وفيليب ويسوع..

يا إلهي.. فأين أكون أنا؟

هل ثَم حياة أخرى فعلاً؟!..

هل ستنهض تلك العظام حقاً من رقادها القديم تحت

التراب؟!..

يا إلهي.. اغفر لي.. لقد تعبت من التفكير.. تعبت من كل شيء.

بيد أن فيليب قطع علي أفكاري..

فيليب قرَّر السفر إلىٰ فلسطين مع وفدٍ من جماعة حقوق الإنسان التي أصبح عضواً فيها، ليناهضوا اليهود المعتدين والمحاربين للمسلمين هناك..

فيليب قال إن هذا (جهاد)، وإن أكثر ما يقرِّبه من محمد أن يدافع عن المسلمين الذين وصفهم بأنهم (إخوانه)..

قال لي: "لا تخافي يا حبيبتي.. لن نكونَ أكثر من حائط بشري يحمي إخواننا المسلمين الضعفاء من اليهود..

لن يتمكنوا من إيذائنا، فالعالم كلُّه يشاهد.. إن شاء الله سأعود"..

دعوت الإله أن يعود..

دعوت إلهي، إلهَ يسوع..

ودعوت الربَّ الواحد الذي حدثني عنه فيليب..

إله محمد ويسوع وفيليب والشبان العرب..

دعوت كثيراً أن يعود فيليب.. لكن فيليب لم يعد..

إحدى رصاصات الجيش الإسرائيلي أخطأت طريقها

فسكنت صدره.. تلك هي النهاية إذن؟!

رصاصة في صدر فيليب، وامرأة تجلس في انتظار غائبها الذي لن يعود؟!

كان يلزمني وقتٌ طويل لأصدق أن فيليب مات وأن كلَّ شيء انتهى..

تبًّا لتلك الحياة التي نعيشها!

هل تسدل الستار على مشاهد حياتي أنا وفيليب رصاصةٌ انطلقت بالخطأ من فوهة بندقية أحدهم؟!

أين عدالتك أيتها الأرض؟ أم أنه ليس ثَم عدالة فوقك؟

إذن أنا في انتظار عدالتك أيتها السماء؟ ولكن متى؟

فيليب مات ولن يعود، وسأظل في هذا الكون بمفردي حتى.. حتى ماذا؟

هل ثَمَّ سبيل حقًّا إلى رؤية فيليب، هل ثَمَّ حياة أخرى أعيشها معه؟

يا إلهي أدركني، إن عقلي يتمزق..

رصاصة أخطأت طريقها تفعل هذا كلَّه بحياتي؟ لا أكاد أصدق!!..

لكنني كنت أعلم أن فيليب، زوجي المسلم، لم يخطئ طريقه إليها..

فيليب دائماً كان يتمنى أن يموتَ مجاهداً في سبيل الإسلام ليكون (شهيداً)..

وشهيداً هذه عند المسلمين تعني أنه مع محمد.. (محمد) حبيب فيليب حبيبي وزوجي..

(محمد) الذكرى الباقية لي من فيليب..

محمد الذي لم أتصور أنني يوماً ما سأحبُّه، ليس فقط لأنه ذكرى فيليب كما كنت أظن بادئ الأمر، عندما قررت الانضمام إلى الشبان والفتيان العرب المسلمين لأكون بينهم مكان فيليب، بل لأنه يستحق ذلك..

نعم أحب محمداً فعلاً.. أحبه صدقاً، وليس من أجل فيليب..

أحبه لأنه كان حنوناً ورحيماً، ولأنه تعب كثيراً ليملأ قلوب العالم بحبِّ الرب..

الرب الواحد.. رب يسوع ومحمد وفيليب والشبان العرب وملايين المسلمين..

نعم أحبه لأنه أوذي كثيراً وأُخرج من بلده وعاش غريباً يدعو إلى دين الرب (الإسلام)..

يكابد الجوع والخوف على نفسه وأهله وأصحابه ويخوض حروباً مع أعداء الرب..

يموت أصحابه حوله من أجل دعوته ثم يموت هو

وتبقى دعوته..

ويبقى حبه في قلوب أصحابه تتواصى به الأجيال..

حب (محمد) الذي مسَّ قلب فيليب فظل يركض بقوة إليه حتى سقط مغمض العينين باسماً مستبشراً بلقائه..

حب محمد الذي مسَّ قلبي وقلوب هؤلاء الذين أسير بينهم الآن في شوارع لندن، نهتف باسم محمد ضد ذلك الأخرق الذي أساء برسومه الساخرة إلى الرسول (محمد).. الذي لا يعرفه، ولو عرفه لما أساء إليه..

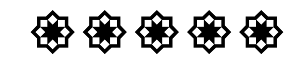
الآن أمشي وسط الشبان والفتيات العرب، على الطريق نفسها التي ينتظر في آخرها (محمد) واقفاً عند حوض مائه العذب..

يسقي منه بيديه الطيبتين الحانيتين أحبابه وأصحابه الذين رضي الربُّ عنهم؛ لأنهم أحباب وأصحاب محمد..

على الطريق نفسها التي بدأ يدخلني اليقين الذي دخل قلب فيليب أنها تفضي إلى الحياة الآخرة؛

لأكون زوجة فيليب في الجنة كما كان يحلم ويدعو دائماً أن نكون معاً.. أنا.. وفيليب.. ومحمد.

تمت






شبكة
الألوكة
www.alukah.net


الجديد
و
الطريف
NEW & EXCLUSIVE

جائزة الألوكة

مسابقة: «انصُر نبيَّك وكُن داعيًا»

المفتـاح

المشاركة الفائزة بالجائزة الرابعة بفرع القصة

بقلم

مروة شـيخ مصطفى




شبكة
الألوكة
www.alukah.net


الجديد
و
الحصري
NEW & EXCLUSIVE

المفتـاح

استيقظ عثمانُ باكرًا هذا الصباح، إنه يوم الإثنين، عليه أن يجهِّز نفسه للذهاب إلى الكعبة ليقومَ بتنظيفها وتطييبها لاستقبال الناس. . .

كانت زوجته قد عهدت هذا الأمر فرتَّبت له ملابسه وحضَّرت له طعامه ليكون أكثر نشاطًا هذا اليوم.

خرج عثمانُ من بيته مزهوًّا مفتخرًا، قاصدًا الكعبة، ولما وصل إليها طاف بها على عادة قومه، ثم أخرج من جيبه ذاك المفتاحَ المذهَّب.

إنه مفتاح باب الكعبة. . .

ذلك الذي ورثه عن أبيه طلحة وجدِّه قُصَي، وخوَّله نيل شرف سِدانَة الكعبة من بيوت قريش أشرف قبائل العرب، فمسَحَه ونظر إلى بريق لمعانه في شمس الضُّحى وخاطبه: إنك مصدرُ حسَبِنا وستبقى، لا يشاركنا بك أحدٌ من الناس. .

أدار عثمانُ المفتاح مؤذنًا بفتح باب الكعبة، وجدَّ في تنظيفها، جدرانها والصُّور والتماثيل التي حوتها، ثم شرع بتطييبها وتبخيرها.

وتجمَّع سادات قريش - ومن ورائهم الناس - أمام الباب يستأذنون عثمان بالدخول. .



وبينما كانت أفواج الناس تدخل تحيِّي أصنامها وتقدِّم لها القرابين وتتوسل بها وتسألها حوائجها، قبل أن تخرج لتفسح المجال لناس آخرين، إذ أقبل محمدُ بن عبدالله بن عبدالمطَّلب الهاشمي القرشي ﷺ يريد دخولَ بيت الله بعد أن طافَ به...

فما إن رآه عثمان حتى صاح به غاضبًا: ما جاء بك أيها الصابئ؟

فأجابه محمد ﷺ: أريد أن أدخل الكعبة مع الناس.

فردَّ عثمانُ وقد بدت على وجهه علاماتُ الحَنَق الشديد: تتنكَّب ديننا، وتسفِّه آلهتنا، وتزعم أنك مرسلٌ من عند الله بدين جديد لا عهد لنا ولا لآبائنا به، تؤمن بإله واحد وتكفُر بما وراءه من آلهة، تكفر باللات والعُزَّى وبكل هذه الآلهة التي تحفِل بها الكعبة، ثم تأتي تريد الدخول؟! هيا ابتعد وافسح المجال لسادات قريش فقد أتى بعضُهم يريد البيت.

فكان أن سمع عثمانُ من رسول الله ﷺ ذلك الجوابَ الذي لم يكن ليتوقَّعه أبدًا: «يا عثمانُ، لعلَّك سترى هذا المفتاحَ يومًا بيدي أضعُه حيث شئت». ونزل الجوابُ على قلب عثمانَ كالصاعقة، ودارت عيونه في محاجرها وهو يلمس الثقة والإيمان تقطر من هذه الكلمات.

وأخذته حميَّة قومه فأجاب وقد احمرَّ وجهُه وانتفخت أوداجه، يتلعثم تكاد حروف كلماته يقتل بعضُها بعضًا: لقد

هلكت قريش يومئذ وذلَّت إذ تضع مفتاح الكعبة بيدك!

فردَّ النبي ﷺ بثقة وسكينة: «بل عمرت وعزَّت يومئذ».

واقترب محمد ﷺ أكثر ودخل الكعبة، وترك عثمان مذهولاً بالجواب الصادق، يتغلغل إلى وعيه شيئًا فشيئًا..

وما إن انفضَّ الناس حتى أغلق عثمانُ الباب وقَفَل عائدًا إلى بيته، لا تبرح صور الحوار مع محمد ﷺ مخيِّلته ولا تزال كلماته تتردَّد في رُوْعِه.

أحقًّا سيؤول الأمر إلى ما قال محمد؟!

أتعجِز قريش أن تصدَّ هذا الصابئَ ومن تابعَه، وما هم إلا رهطٌ قليل جلُّهم من الفقراء والضعفاء؟

بل إنها قادرة على أن تستأصل شأفتهم!.

لكن واقعَ الحال غير ذلك!!

إن أتباع محمد في ازدياد برغم ما تكيلهم قريش من أصناف العذاب، حتى إن إحدهم ليوشك على الهلاك من شدَّة ما يصيبه من تعذيب، وهو صابر ثابت يأبى أن يُثني على آلهتنا ببنت شفة أو أن يذمَّ محمدًا بكُليمة.

ما هذا السحر الذي جاء به هذا الرجل؟

ثم إن محمدًا يعرضُ نفسه على قبائل العرب في موسم الحجِّ كل عام، ماذا لو صدَّق به أحدٌ منهم؟

ماذا لو اتبعته إحدى القبائل؟

لا . . لا . . إن ذلك لن يحصل، وها هي ذي ثقيفُ قد صدَّته حين أقبل إليها يدعوها؟

لكن ثقيف ذات مصالح مع قريش وهذا ما دعاها لصدِّه، فماذا لو كانت غيرها أكانت صبأت؟؟

آه يا مناة!! إن هذا الأمر يُدير الرأس. . .

ما بك يا عثمان لا تأكل؟ ما الخطب؟

نظر إلى زوجه وقد بدت علامات الحَيرة في وجهه: لا . . لاشيء.

وتلمَّس جيبه ليطمئن على المفتاح فلم يجده، ففقد صوابه وانتفض قائمًا كمَن لدغته أفعى، أين المفتاح؟ وعاودَه كلام محمد: يا عثمانُ، لعلَّك سترى هذا المفتاح يومًا بيدي أضعُه حيث شئت.

هل تحقَّق ما قال محمد؟!

وتحسَّس كل موقع من ثوبه في ذعر وارتباك باديَين، حتى لمس المفتاح فأخرجَه من جيبٍ غير الذي اعتاد أن يضعَه فيه، وأطلق تنهيدةً طويلة: الحمد لله ما زال معي.

ونظر إلى زوجته التي بدا على وجهها علاماتُ الدهشة والاستغراب: سنحفظُ هذا المفتاح كأشدَّ ما نحفظ غاليًا!

قالت: بلا شكٍّ سنحفظه! لكن هل استجدَّ من أمر؟ ألن تخبرني؟.

لا . . إنه كان نقاشاً فحسب، لا طائل من ذكره الآن.

وسمع عثمانُ بهجرة النبيِّ ﷺ وصاحبه سرًّا إلى المدينة، فانقَبض صدرُه وضاقت عليه نفسُه . .

ها قد فرَّ محمد بدينه برغم أنف قريش! ولاشك أن له في المدينة موطئَ قدم، فماذا لو أصبح له عُصبةٌ منهم وقويت شوكتُهم؟

حتى لو فعلوا فماذا سيضير قريشًا؟

إنها ما زالت تستطيع اجتثاثهم حتى إن بعدوا، بل ربما يكون الأمر أهونَ، وستثبت لك الأيام ذلك يا عثمان.

لكن ما أثبتته الأيام كان خلافَ ذلك، فهاهم صناديدُ قريش وفرسانها قد خرُّوا صرعى في بدر بسيوف أتباع محمد وحماة الدِّين الجديد في المدينة.

حتى ما حدَّثه به صاحبُه خالد بن الوليد من أخبار المعركة التي قادها وانتصاره على جيش محمد في أُحُد لم يكن ليسكِّن نفسه، فإنما هي جولة، والحرب سجالٌ، ومحمد لا يزال بين ظهرانَي أصحابه في المدينة، وأتباعُه في ازدياد في شتى أرجاء جزيرة العرب.

ونادى المنادي لغزو محمد وأصحابه في عُقر دارهم . . .

وتحزَّبت لذلك قبائل من العرب مع قريش، وبقي عثمانُ في مكة يخدم الكعبة ويجمِّل ما فيها من صور وأصنام، تلك

التي استعانت بها قريش في حربها، ويتساءل: إن كانت هذه تضرُّ وتنفع حقًّا فلابد أن تفعلَ فعلها في هذه المعركة الحاسمة!

وتأتي الأخبارُ بهزيمة الأحزاب ونكوصهم على أعقابهم خائبين لم ينالوا خيرًا..

ويعود القومُ إلى مكة يجرُّون أذيال الخيبة والذل، ويبدأ بعضهم الطوافَ على عادتهم بالبيت ثم بأصنامهم حول الكعبة التي ما فتئ عثمانُ يعتني بها منذ خروجهم...

ويرقبهم عثمان في حين يسري في نفسه الريبُ بحقيقة هذه الآلهة، إنها لم تُغْن عنهم شيئًا!

ويَطرق سمعَه كلامُ محمد حين أراد أن يدخلَ الكعبة.. ويتحسَّس المفتاح في جيبه، حسنًا! إن كان سيصير المفتاح إلى محمد، فكيف بقريش تعزُّ وتعمر ذلك اليوم؟!

ويدخل عليه صديقُه خالد يومًا: يا عثمانُ إني مُسِرٌّ إليك بحديث على أن تعدَني أن تكتمَه.

عثمان: إني فاعل فقل يا أبا سليمان.

خالد: إننا على ما ترى من عدائنا لمحمد مذ صدع بهذه الدَّعوة، وإنه على ما رأيت من ثبات وصبر لا يُطيقه إلا من أيَّده الله وكان على هدى منه، حتى آل أمرُه إلى ما آل إليه، وإني لأجدُ في صدري انشراحًا لهذا الدِّين، وقد عزمت أن

أغادرَ إلى محمد في المدينة.

انشرح صدرُ عثمان، وافترَّت عن ثغره ابتسامةُ رضا، وقال: وإني والله قد وجدتُّ في نفسي ما وجدتَّ، فهيا بنا نيمِّم شطر يثرب.

وتذكر عثمانُ مفتاح الكعبة: والمفتاح، ما أفعل به؟ لقد تنبَّأ محمد يومًا أنه صائرٌ إليه، ولابدَّ أن هذا كائن، وأنه سيضعُه حيث يشاء، لابد أنه لن يكونَ معي بعد ذلك اليوم، ولن يكونَ بعدها لنا حِجابَة ولا مزيَّة!

خالد: فما أنت فاعلٌ به؟

عثمان: سأعلِّقه على هذا الجدار، فلابد أن قريشًا ستسأل عنه، وليَؤُل بعدها إلى من يشاء الله..

ويخرج الرجلان دون علم أحد من قريش، وفي بعض الطريق يلمحان طيفَ رجل من بعيد..

عثمان: من تظنُّ الرجل؟

خالد: دعنا ندنُ منه قليلاً لعلَّنا نعرفه.. ها! أظن أنه عمرُو بن العاص.

عثمان: أجل إنه هو، ولكن ما الذي أخرجَه في هذه الساعة، وأين يقصد؟

خالد: دعنا نبادرهُ بالسؤال.

وحين يدنوان منه يبادرهما بالسؤال – وهو من أدهى

العرب-: ما الذي أخرجكما؟

فيجيبانه: أخرجنا الذي أخرجك!

وينطلق الثلاثة تعدو بهم خيولهم نحو المدينة، تهفو أفئدتهم إلى رؤية النبيِّ ﷺ، وإعلان إسلامهم بين يديه.

وببزوغ فجر اليوم التالي كان الفرسانُ الثلاثة قد أصبحوا على مشارف المدينة، ويراهم بعض المسلمين وقد خرجوا لأعمالهم بعد أن أدَّوا صلاة الفجر مع النبي ﷺ في مسجده، فيرتابون في أمرهم فيبادرونهم سائلين: ما الذي جاء بكم؟

فيجيب الثلاثة: جئنا لنشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، دلُّونا على مكان رسول الله لنعلنَها أمامه.

وذهب بهم جمع من المسلمين إلى حيثُ رسول الله ﷺ على حذرٍ من ألا تكونَ هذه غايتهم، وحين يبصرهم رسول الله ﷺ يشرق وجهُه الشريف ويقول مبشِّرًا أصحابه: «رمتكم قريش بفِلْذات أكبادها».

ويفرح بذلك المؤمنون ويُقبلون عليهم يهنِّئونهم بإسلامهم..

ويعيش عثمانُ وصاحباه في المدينة بين إخوانهم من المهاجرين والأنصار، يتعلَّمون دينهم ويعبدون ربهم على بصيرة، آلين أن ينصروا الإسلام كما صدُّوا عنه من قبل.

وماهي إلا أشهرٌ معدودات حتى يأمر الرسول ﷺ بالتجهيز

للسَّير إلى مكة. .

فيتهيَّأ عثمانُ من بين عشرة آلاف مقاتل يسيرون لتخليص مكة وأهلها من دنس الشِّرك وتطهير الكعبة من الأوثان. .

ويدبُّ الرُّعب في قلوب قريش، فأنى لها بنصرٍ على جيش لم تعهد له نظيرًا؟!

وتقرِّر الاستسلام والخضوع وتسليم مكة طائعةً إلى الرجل الذي كذَّبت وآذت وأخرجت. . فليس لها غير ذلك حيلة!

ويدخل الرسول ﷺ مكة فاتحًا خاشعًا مطأطئ الرأس؛ إجلالاً لله - عز وجل - الذي بشَّره بالفتح قبل أن يخرجَ من المدينة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾.

ويتوجَّه رسول الله ﷺ إلى البيت الحرام وقد جُعلت حوله الأصنام فيشرع يطعنها ويحطمها وهو يردِّد: «جاء الحقُّ وزهق الباطل، إن الباطلَ كان زهوقاً». .

ثم يدخلُ الكعبة ويأمر بإزالة ما فيها من أوثان وطمس ما فيها من صور، مطهِّرًا لها من أوضار الشِّرك إلى أن يرثَ الله الأرض ومن عليها. .

ويرى عثمان قريشًا تتجمَّع خائفة وَجِلَة تنظر ما يأمر بها النبيُّ الفاتح ﷺ فينادي بهم: «ما تظنُّون أني فاعلٌ بكم؟».

فتجيب الجموعُ وقد ملأ الأملُ قلوبَها برحمة هذا النبيِّ كريم الخلق: أخٌ كريم، وابنُ أخٍ كريم!.

فيأتيهم الجواب خيرًا مما أمَّلوا وتمنَّوا، فضلاً منه ومنَّة ﷺ: «اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء»..

ويعود الزمنُ بعثمان إلى ذلك اليوم الذي جاء به النبيُّ ﷺ يريد دخولَ الكعبة، وكيف صدَّه هو، ويتذكَّر كلمات النبي ﷺ له وهو يعده بهذا اليوم، يوم يضع مفتاح الكعبة حيثُ يشاء... فما أيقظَه إلا صوتُ رسول الله ﷺ يسأل عن المفتاح..

ويلمحُ عثمانُ المفتاح.. ها هو مع ابن عمِّ الرسول وصهره عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه يرفعه، فيخفق قلبُه بين جوانحه، ويزداد فَرَقًا حين يسمع عليًّا يرجو النبيَّ ﷺ: اجمع لنا الحِجابَة مع السِّقاية يا رسول الله!.

فيأخذ النبيُّ ﷺ المفتاح من عليٍّ وينادي: «أين عثمانُ بن طلحة؟».

ويخيَّل إلى عثمانَ أنه سمع داعيَهُ.. لا إنه ليس خيالاً.. إن رسولَ الله ﷺ يسأل عنِّي وهو ممسكٌ بالمفتاح: ها أنذا يا رسول الله!..

ويجتهد عثمان للوصول إلى رسول الله ﷺ من بين الجموع، وحين يدنو منه يُناوله رسول الله ﷺ المفتاح، فيمدُّ يده ليتسَلَّمَهُ وقد غمر الفرح فؤاده حتى فاض البِشر على وجهه..

يعطيه النبيُّ ﷺ إياه قائلاً: «هاك مفتاحَكَ يا عثمان، اليوم

يوم بِرٍّ ووفاء، خذوها خالدةً تالدةً لا ينـزعها منكم إلا ظالم. يا عثمانُ، إن الله استأمنكم على بيته فكُلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف». .

ويمضي عثمانُ يتلمَّس المفتاح ويقلِّبه بين يديه، يلهَج لسانه بالثناء على الله؛ أن ردَّ إليهم هذا الشرف، شرف حِجابة الكعبة. .

ويناديه النبيُّ ﷺ فيعود إليه سامعًا طائعًا: لبَّيك يا رسول الله!.

فيقول له مبتسمًا: «ألم يكن الذي قلتُ لك؟».

ويجيب عثمانُ بقلب غمرَهُ الإيمان: بلى!

أشهد إنك لرسول الله. .

تمت







فِهرسُ القَصَص

❁ ❁ ❁ ❁ ❁



هذا الكتاب

هذه المجموعةُ من القَصَص، قِطفٌ طيِّبٌ من ثمار مسابقتنا، جادت بها قرائحُ أدباء أخلصوا أقلامَهم للخير، وسخَّروا مواهبَهم فيما يُرضي اللّه، وقد جمعت نصوصُهم بين نُبل الهدف والغاية، وجمال الصَّوغ وإشراق الأسلوب، وكلُّ قصَّة منها جَلَت جانبًا من جوانب العَظَمة في شخص سيِّد الخلق نبيِّ الرحمة والهُدى محمد ﷺ ، وهي جديرة أن نقرأها ونُقرئَها أبناءنا.



جائزة الألوكة

انطلاقًا من حرص شبكة الألوكة على إذكاء روح التنافس الهادف بين الكتَّاب والمثقفين والمبدعين، وانسجامًا مع الجهود التي تبذلها المؤسَّسات الثقافية المختلفة، أُنشِئت جائزة الألوكة للإبداع في مطلع عام ١٤٢٧هـ، متضمِّنةً عددًا من المسابقات العلمية والثقافية والأدبية المتميزة، التي احتلَّت مكانة مرموقة بين كبريات المسابقات الثقافية العربية.

- جائزة الألوكة للإبداع إسهامٌ في صناعة الثقافة الإلكترونية التفاعلية الهادفة.
- جائزة الألوكة للإبداع تحفيزٌ لمواهب المبدعين، وخطوة جادَّة في تطوير مسيرتنا المعرفية.

المسابقة الأولى :
مسابقة انصر نبيك .. وكن داعياً

أطلقتها شبكة الألوكة لنصرة نبيِّ الأمَّة محمد ﷺ ، في إثر محاولات بعض الصُّحُف الغربية الإساءة إلى جَنابه الشريف، فكانت خيرَ حافز ومشجِّع على الذبِّ عن مقام النبوَّة السامي، بمنهج علميٍّ مقنع، وأسلوب أدبيٍّ ممتع.

وتألفت المسابقة من أربعة فروع، هي: البحث العلمي، والقصة القصيرة، والمقالة الصحفية، ومقالات الناشئة.

وبلغت جوائزها: تسعين ألف ريال.



